نغمةٌ من وترِ الأسرار

قصص قصيرة

نغمة من وتر الأسرار

قصص قصيرة

نجيـب كيّالي

شرفات للنشر والدراسات - الطبعة الأولى، تركيا، 2021م

تصميم الغلاف: د. مهنّا بلال الرشيد

عدد الصفحات: 136 القياس: 21.5 x 13.5

ISBN: 978-605-74375-8-7

رقم تسلسل الطبعة : **167**

SHURUFAT.NET

shurufat@yahoo.com

شرفات للنشر والدراسات

جميع الحقوق محفوظة لا يُسمح بنسخ الكتاب أو إعادة إنتاجه أو نقله

أو ترجمته دون إذن مسبق من الناشر

نجيب كيّالي

نغمةٌ من وترِ الأسرار

قصص قصيرة

طبعة أولى- شرفات للنشروالدراسات

قارئُ الدُّموع

وأنا أنظر في دموع أمي ذاتَ مساء لمعت الدموع كالمرآة، وهناك رأيتُ وجهي! كان حزيناً شاحباً يشبه ورقةَ خريف، ومع ذلك أحببتُه. إنه أقربُ إلى القلب من وجهي الذي أراه كلَّ صباح في مرآة بيتنا!

لم تقل أمي شيئاً، لكنني عرفتُ سببَ حزنها، كانت تفكر في أخي بهاء المسجون في مكانٍ ما، اعتقلته من الطريق أيدٍ قاسية، وساقته إلى حيث لا نعلم! أمي كانت تقول لنفسها: هل تناول بهاء طعامَ العشاء؟ وهل قدَّموا له مع عشائه كأسَ شاي؟ هو يحبُّ الشايَ كثيراً، سمعتُ أنهم لا يقدِّمون للمساجين سوى بضعِ حباتٍ من العطون مع كسرات خبز! أمَّا الشايُ والقهوةُ، فهما ترفٌ أكبر من كبير!

بسهولةٍ اكتشفتُ ما تفكر فيه أمي من تأملي سربَ دمعاتها النازلات، كأنَّ داخل الدموع أسطراً بِيضاً، وأنا قرأتُها! صرتُ بعد ذلك أقرأ كلَّ يوم دموعَ أمي، وأطَّلع على أفكارها، وأواسيها، فتتعجب الأم، كيف أعرف ما في قلبها! وأجدها تعانقني قائلةً: فهيم، لحظةَ المعانقة تبلل دمعاتُها جزءاً من وجهي، فأشعر كأنني حزينٌ وسعيد معاً! أحياناً ألتقط من خدي المبلل بدموع أمي نقطةً أضعها على رأس

إصبعي، وأنظر فيها بعمق، فأشعر أنني اكتشفتُ في تلك الدمعة تاريخَ أمي كلَّه!

مع مرور الأيام، وكما ينمو كلُّ شيء نَمَتْ خبرتي في قراءة الدموع، فقرأتُ دموعَ الجيران، وعرفتُ أسبابَ أحزانهم! قرأتُ دموعَ أصدقاء الأسرة والأقارب! توصلتُ من قراءتي للدموع أنَّ هناك شباناً كثيرين ذهبوا إلى حيث ذهب بهاء، وتمَّ اعتقالهم بالطريقة نفسها، ثم دخلتْ قصصهم كلُّها في كهف من الغموض كما دخلت قصةُ أخي!

وفي أحد الأيام خطرت لي فكرةٌ، غريبة أو مبتكرة، أو مجنونة، وأنا صاحبُ أفكار ليست عادية: الفكرة أن أُنشِئَ مكتبةً لم ينشئها أحد غيري. الحكاية باختصار: أنا أحبُّ الكتبَ كثيراً، وأحلم بافتتاح مكتبة لبيعها، لكنني لا أملك المال، كما أنَّ الإقبال على القراءة بات ضعيفاً، لذا قلتُ لنفسي: سأُنشِئُ مكتبةَ دموع أتجوَّل فيها، وأقرأ قصصَ الناس من دموعهم. مكانُ المكتبة داخلَ رأسي، وبالفعل أسرعتُ لتنفيذ الفكرة.

في داخل الرأس وضعتُ رفوفاً، وشرعتُ في تنضيد الدموع على شكل كتب، وقد لوَّنتُ الأغلفة بألوان مناسبة، دموع الموت أعطيتُ لكتبها لوناً أسود، دموع الفقر أعطيتُها لوناً أزرقَ نيلياً، دموع الفراق لوناً أحمر، دموع الحب لوناً زهرياً، دموع الفرح لوناً أبيض! كنتُ ألتقط بعينيَّ صوراً للدموع التي أراها في كل مكان، ثمَّ أحللها، وأضعها على الرف

المناسب. بعضُ الدموع صارت كتاباً واحداً، وبعضها صارت كتابين، وبعضها عدةَ مجلدات. أمَّا دموع أمي فأصبحت موسوعة! في أوقات الفراغ أتسلل إلى مكتبتي، وأتناول كتاباً أبدأ بقراءته. قد أكون جالساً في تلك اللحظة، على كرسي حديقة أو مقهى، فتسيل دموعي متأثراً بما قرأت، فيتعجب الناظر إليَّ، لأنه يظنني أبكي بلا سبب! أو يحسبني مريضاً أعاني ألماً شديداً في البطن أو غيره!

وذاتَ أصيل كانت بانتظاري مفاجأة! كنتُ جالساً حينئذ في الحديقة أقرأ، وأبكي وقف أمامي عصفور على غصن، العصفور لم يتعجب من دموعي، لم يحسبني مريضاً أو سوى ذلك، لكنه فهمَ حالتي بدقة، كما شعرتُ، كأنه قرأ دموعي هو الآخر، وعرف أن في داخل رأسي مكتبة! ظلَّ العصفور في مكانه حتى غادرت! والأغرب أنني كلما ذهبتُ إلى الحديقة وجدتُه يأتي حالاً أو بعد دقائق ليقفَ على الغصن ذاته، ويتابعَ ما يحدث لي، وهكذا.. اكتسبتُ صديقاً!

بعد مدة زاد حزن أمي على أخي بهاء كثيراً، وزادت دموعها حتى لم تعد تكفيها موسوعة! ماذا أفعل؟ رباه أمي تذوي.. تذوي، كأنها كلما بكت استهلكت قسماً من كتلتها! جلستُ في الحديقة، وتبادلتُ النظر مع العصفور الذي نَمَتْ بيني وبينه لغةُ التفاهم.. حتى صرتُ أفتح كفي، فيأتي ويقفُ فوقها!

قلتُ للعصفور: أريدك أن تذهب، وتأتيني بخبر مَنِ اعتقلوا أخي ما لونُ دموعهم؟ ما صفاتُها؟ إذا استطعتَ القيامَ بذلك فهمتُ أنا طبائعَهم، وأساليبَ تفكيرهم، ومخزوناتِهم كلَّها، والأهم أني سأعرف لماذا سجنوا أخي، وبعد ذلك كلِّه ربما أجد طريقةً لإخراجه كي تهدأ أمي، وترتاح.

استطاع العصفور أن يصلَ إلى الجناة، راقبَهم ليلاً ونهاراً، مرت بهم أحداثٌ مؤلمة، وشاهدوا فظائعَ كثيرة، فتعجب العصفور وعاد ليقول لي كلاماً موجزاً: هؤلاء لا يبكون حتى في مصائبهم الخاصة!

قلتُ مذهولاً: معقول! معنى ذلك أنَّ صدورهم مجرد صناديق فارغة! لا قلوبَ عندهم، لا تاريخ، لا شيء! أيكونون هُلاماً؟! حتى الهُلام يمكن أن يبكي في بعض الأحيان.

بعينيه أجابني العصفور: هُلام يا صديقي وأقلُّ من هلام!

زفرتُ حريقاً من صدري، ثمَّ همست: اذهبْ إلى الآمر الذي بعثَهم، وراقبْ لي دموعه، عاد العصفور بجواب قاطع بعد أسابيع: آمرهم، والآمر الذي فوقه، ومَنْ فوق هذين أيضاً: لا دموعَ لهم.. لا دموع! هل فهمت؟

***

2020/8/13

طقس غرامي

كلَّ يوم.. كلَّ يوم بلا انقطاع لا بدَّ أن يقومَ سالم بهذا الطقس الغرامي قبل خروجه من البيت.. يقبِّل زوجته قبلةً طويلة خلف باب الدار، ثم يفتح الباب، ويخرج بطريقة السيارة التي ترجع إلى الوراء، ظهره نحو الشارع بينما الشفاه مشتبكة. تنفصل الشفاه، فيغرس عينيه في عينيها، وهو يقول:

- أعانني الله كيف سأبقى بعيداً عن هذا الوجه ستَّ ساعات يا مَرام؟!

قبلةُ الصباح تلك يسميها سالم: مؤونةَ اليوم، ويشرح الأمر لشريكة حياته التي يدلّعها بـ(رامو):

- المدخنون قبل خروجهم من منازلهم يتزوَّدون بعلبة سجائر، هذه مؤونتهم. أنا مؤونتي هذه القبلة، ألفُّ طعمَها بمنديل من حرير، وطوالَ غيبتي عنكِ أمزمز من ذلك الطعم حتى أعود. بدونها أصاب بخَرَم المدخنين أو خَرَم العشاق، فأعجز عن متابعة العمل في المؤسسة!

تضحك رامو، فيشعر أنَّ كوثراً دفقَ مياهَهُ في صدره! لقد مضى على زواجهما سنواتٌ عديدة، وحبهما مازال في ريعانه، بل إنه يزداد تألقاً مع الأيام، ويمكن لمن يدوِّنون سِيَرَ العشاق أن يدوِّنوا لهما سيرةً من أخصب السِّيَرِ وأجملها.

مع قدوم مرض الكورونا أصابت هذين العاشقين كارثةٌ غير متوقعة! وصل الفيروس إلى كليهما، فتمَّ نقلهما إلى المستشفى، كانت الإصابةُ عنده وعندها شديدة، فوضعوهما على جهاز التنفس الاصطناعي، والمؤلم في الأمر أو المؤلم جداً أنهما لم يكونا في مستشفى واحد! لأنه أصيب قبلها، ثم أصيبت بعده، مرَّت سبعة أيام وسالم بلا مؤونة! شفتاه تبحثان عن غذائهما اليومي، روحه تطالب بجرعتها من الغرام. قال لنفسه: لو كانت بجانبي لأرسلتُ لها قبلةً عن بُعد أو لاختلستُ واحدةً من فوق الكمَّامة. قبلةٌ منها هي خيرٌ من هذه الأدوية.. هي أفضلُ من صيدلية كاملة. بل يكفي أن أطمئنَّ عليها لأبدأ بالشفاء.

بعد أسبوعين تحسَّنَ وضع سالم، فأخرجوه من المستشفى، كانت الجائحة شديدةَ الانتشار في مدينتهم، والإجراءاتُ مشدَّدة داخلَ المشافي وخارجَها، فوصل وحيداً إلى البيت، ولم يستطع أن يعرف شيئاً عن أميرة قلبه! ولمَّا عرف كانت قاصمة الظهر، لقد ماتت! ولم يسمحوا له حتى باستلام الجثة، بل قاموا هم بدفنها! سقطت نجوم السماء على رأس سالم، ضاقت أمام عينيه دروب المدينة الواسعة! كلُّ الطيور الجميلة تشوَّهت فجأةً، فصار يراها جراداً وأقبحَ من جراد! أمَّا منزلهما فأصاب كلَّ شيء فيه شحوبٌ غريب، جدرانه وأبوابه وسقوفه تحوَّلت إلى كمَّاشة تعصر روحه، وتحاصر الهواءَ في رئتيه! وذروةُ ما جرى له أنه- وهو المعروف

بدقة الإنجاز- صار يخطئ كثيراً في أوراق المؤسسة أثناءَ العمل حتى اضطر المدير إلى نقله من رئيس قسم إلى وظيفة هامشية!

وذاتَ ليلة هرب النوم من عينيه، وهاجمت رأسَهُ زوبعةُ صداع، دار في أطراف البيت وكلُّ نبضة من نبضاته تنادي قلبَ حبيبتِهِ الغائبة، ثم هوى منهكاً على الكرسي، بغتةً خرج رجلٌ من رأسه، وجلس أمامه. قال الرجل الآخر:

- تدهورَ كلُّ شيء فيك يا سالم، هل تعرف لماذا؟ لأنك صدَّقتَ أنَّ مرام ماتت. لكنَّ مرام لم تمت! مرام ملاك، والملائكةُ لا تموت.

انتفض متسائلاً وفي عينيه جحيمٌ من الشوق:

- مرام لم تمت! أين هي بالله عليك؟!

ردَّ الرجل الآخر مشيراً إلى سقف الغرفة: انظر.

نظرَ، فرآها تطير بجناحين كالملائكة!

هتف من أعماق روحه:

- مرام.. مرام.. رامو.

لم تردَّ عليه، لكنها اكتفت ببسمة هادئة ساحرة أرسلتَها صوبَهُ!

وثب نحو الرجل الآخر، واستعطفه بنبرة راجفة:

- أرجوك أعدها إليَّ إن كنتَ قادراً على ذلك. أريدها في منزلي، بجواري كما كانت دائماً.

همسَ الرجل: لا يمكن.

ثم أضاف:

- يمكن فقط أمرٌ واحدٌ تحبه أنت كثيراً، وهو أن تجدها كلَّ يوم عند الصباح خلف باب الدار، فتمنحك القبلة المعتادة مؤونةَ اليوم كما تسميها.

وافقَ سالم، وبدءاً من صباح تلك الليلة أخذ يراها هناك، فيأخذ قبلةً طويلة بأسلوبه المعتاد، ويخرج من الباب بطريقة السيارة التي ترجع إلى الوراء، بينما الشفاه مشتبكة!

عَلِمَ بتلك القصة نحَّات، فدمعت عينه، ثم أنجز بعد مدة منحوتةً باهرة لرجل يُقبِّل امرأةً خلف الباب، شفاههما المشتبكة كأنها تقول: كلُّ شيء بعد الحب لا يساوي ذرةَ تراب.

***

2021/3/12

صمتٌ جارح

كـان الكـونُ قـديماً عـامراً بالصـخب الجميـل: هـديرِ الشلالات، أغاني الطيور، موسيقا الريح، ويقال: إنه لم يكن يعرفُ الصمت.

في ذلك الوقت امتزجَ قلبان ببعضهما قلبُ الفتى (شَاس) وقلبُ حبيبتِهِ (نجمة)، الشراييُن تداخلتْ ببعضها، بُطينُها صار في قلبه، بُطينُه صار في قلبها!

مات والدُ الفتى، وحلَّ الفقر بأسرتهم ذاتَ سنة، وكان على شاس أن يغادر بحثاً عن رزقه في البعيد. التقيا تحت شجرة، حاول أن يُخبِرَها بقراره، لكنَّ كلماتِهِ تبخَّرتْ أمام عينيها! تلفَّتَ حوله لعل أحداً يتكلم بالنيابة عنه، فإذا بالكون كلِّهِ يصمت! شلالاته خرستْ، طيوره، ريحه!

يقول الراوي: إنَّ شاس أحسَّ بألمٍ فظيعٍ في صدره كأنه وخزةُ مسمار..! وقبل أن يضعَ يدَهُ على مكان الألم وضعتْ هي يدَها على صدرها! قالت بعينيها: أعرفُ ما نويتَ عليه.

قال بعينيه: رغماً عني.

ردَّت بعينيها: الفراقُ صعب. سأموتُ كلَّ يوم

أجابها بالعينين: انفضي شالَكِ المعطَّر كلَّ صباح في الريح، فرائحتُه ستصلني، وتنعشني.

من ذلك اليوم تراجعَ استعمالُ الألسنة بين المحبين،
وصارت العيونُ هي الناطقَ الرسميَّ بحرائق قلوبهم!

***

1998/4/12

أحلامٌ على حواف الصَّدى

قلبُ فَكِيه مملوءٌ إيماناً بالحظ لا بالعمل! وهو دائمُ البحث عن حظه يردد بلا ملل:

- سأجده في مكان ما، وسأطلبُ منه ما أشاء، فتتحققُ أحلامي دفعةً واحدة.

لم يفلح فَكِيه في الدراسة، ولم يكتسب أيَّ مهنة، وبدلاً من الإصغاءِ لنصائح أمه كان يصغي لصوتٍ رخو يأتي من داخله، يقول:

- الراحةَ يا فَكِيه. احرص على راحتك. العملُ يرهق بدنَ الإنسان، فيشيخ باكراً.

ثم نصحَهُ الصوت أن يبحث عن طاقية التوفيق ذاتِ الألوان السبعة، وعلى مقدمتها من الأمام يظهر مصباحٌ مطرَّز بخيوط زرقاء.

بعد عناء وجد تلك الطاقية في أحد دكاكين الألبسة القديمة، فطار بها فرحاً، وعند الصباح أسرع، فلبسها في رأسه، ومشى في غابة قريبة بحثاً عن حظه، بعد الغابة انطلق إلى الجبل، وهناك وجد فتحةً في الصخر، خلفها شَقٌّ طويل غائرٌ، كأنه بئر!

صاح واضعاً فمَهُ عند الفتحة: هيي. أنا فَكِيه.

فجاء الصَّدى: فَكِيه.. فَكِيه.

أعاد الصياح مرةً أخرى، فَخُيِّل إليه أنَّ صوتاً يقول له من الأسفل:

- أهلاً فَكِيه. أنا حظك، كنتُ بانتظارك منذ وقت طويل.

قفز قلبه في صدره كَمُهرٍ صغير، ثمَّ وضع فمَهُ على الفتحة، وهتف:

- أريد موبايلاً حديثاً جداً من نوع سامسونج جلاجسي، سعةُ التخزين فيه واسعة.

سمع فَكِيه الصوتَ القادمَ من الأسفل يقول له:

- تكرم. اذهب إلى البيت ستجده على رف المطبخ خلفَ علبةِ الكمُّون.

في الطريق إلى البيت كان يندفع مسرعاً، وقد خطر له أنَّ الحظ ذلك الكائنَ الرائع لا بدَّ أنه تعرَّضَ لظلم كبير أوصله إلى الجبل! الأغلب- والله أعلم- أنَّ العصر الحديث الذي يتحدث عن العمل كثيراً، غارَ من عظمته، فحاربه، وطارده حتى اضطر للانسحاب إلى الجبل حيث توارى في ذلك الشَّق العميق!

دخل إلى المطبخ ملهوفاً، فلم يعثر على الموبايل خلف علبة الكمُّون! دفعَ العلبَ والأواني كلَّها إلى الأمام ناشراً في المكان فوضى عارمة، فلم يظفر سوى بالخيبة! جاءته أمه غاضبة، وسألته عمَّا يفتش، ولمَّا قال لها: عن موبايل ارتسمت على وجهها أقصى علاماتِ العجب، فَمَنْ سيضع الموبايل في المطبخ؟! ومن أين سيأتي أصلاً؟!

تهرَّبَ فَكِيه من أسئلة أمه، ولم يجرؤ أن يحكي لها عمَّا جرى له في الجبل. الغريب أنه شكَّ في أمرها، فحظه لا يكذب، وقد وضع له الموبايل في المطبخ، لكنَّ أمه سبقته، فأخذته، وخبَّأته في مكان ما!

في الصباح انطلقَ بساقين من أمل إلى شَقّه الحبيب، وضع فمَهُ في فتحته، صاح:

- أريد زوجةً جميلة كالأميرات يا حظيَ الرائع.

فتح أذنيه، فسمع الصوتَ يقول له من الأسفل:

- تكرم. اذهب بعد أسبوع إلى خلف حمَّام السوق الأثري ستجدها هناك.

ذهبَ بعد أسبوع إلى خلف الحمَّام، وقد تعطَّرَ ولبس ثياباً جميلة، فلم يجد أيَّ زوجة! أخذ يعدُّ الأيام، فربما جاء باكراً قبل يوم أو أتى متأخراً بعد يوم، فتبيَّنَ له أنه جاء في الوقت المناسب بعد أسبوع تماماً، كما أوصاه حظه!

اجتاحه الغضب لا من حظه، وإنما من فساد الدنيا، فربما أو من المؤكد أنَّ عصابةً تعمل في تجارة الرقيق الأبيض خطفت الزوجة قبل أن يصل إليها! ارتفعت حدَّةُ غضبه، فانطلق يصيح:

- يا تجَّارَ الرقيق يا كلاب لن تفلتوا مني لا بدَّ أن أجدكم، وأستردَّ زوجتي.

مع ارتفاع صياحه صحا فَكِيه على مشهد غريب.. كان نائماً أمام شاشة التلفاز في عيد رأس السنة، وكان يستمع

قبل نومه إلى المنجِّمة الشهيرة دلال التي تحدثت عن حظوظ رائعة قادمة في السنة الجديدة لزعيم البلاد، وحاشيته، ولشعبه، وخصوصاً الرجالَ المفلسين، والشبانَ العازبين!

***

2020/5/29

نغمةٌ من وتر الأسرار

من فم عاشقٍ وصلتْ إليه هذه العبارة المُحيِّرة: (الجميلاتُ لا يَنَمْنَ)

فكَّرَ محمود في معناها بعد مغادرة العاشق له، بدت لخياله لطيفةً، عميقةً مُشعشِعةً بالسِّحر!

الجميلات الله كم ينجذبُ إليهن! كم يركضُ خلف حسنهن كعصفور مُفتَتَنٍ بالربيع، مع أنه لم يعشق بعد، ولكنْ.. ما معنى (لا يَنَمْنَ)؟!

هل المقصود أنَّ عيونهن لا تستطيع أن تُغمِضَ نفسَها، فتبقى مفتوحة؟ أم المقصود أنَّ الجمال فيه خاصيةٌ عجيبة بإمكانه من خلالها أن يُقدِّم الراحةَ لصاحبته دون أن تمضي إلى السرير؟!

ذهبَ إلى المعجم، قلَّبَ صفحاتِه، لكنه لم يعثر على مطلبه، فالمعاجمُ مختصةٌ بشرح معاني المفردات، ولا تشرح هذا النوع من العبارات!

ذهبَ بعد ذلك إلى عبد السميع، وهو أحد مدرِّسي اللغة العربية، كان عبد السميع- على خلاف ما توقَّع هذا الشاب الحائر- متشدداً ذا طبع جاف، فبدلاً من تقديم جواب له سأله:

- أيُّ مجنونٍ قال لك هذه العبارة؟! إنهن ينمن مثلَ القتلى، ومثلَ أهل الكهف، ومثلَ التماثيل المحطَّمة في أقبية المتاحف بعد أن ينثرن الفتنةَ طوالَ النهار! ما أطيب الدنيا بدونهن!

غادر محمود ذلك المدرَّسَ مكتئباً، وهو يستنكر بشدة ما قاله! الدنيا طيبةٌ رائعة بدون الجميلات! يا ألطاف الله! تحرَّكَ عصفورُ خياله، فتصوَّر الشوارعَ خاليةً من الصبايا السارحاتِ كالغزلان، المرفرفاتِ كالحمائم، ولم يبقَ فيها إلا عبدُ السميع وأمثالُه!

تمتمَ مرةً أخرى: يا ألطاف الله! فجأةً وهو يسير دونما وجهةٍ محددة لمحَ العاشقَ يدخن خلف زجاج مقهى، فمضى مسرعاً إليه، لكنَّ العاشق رفض أن يشرح له ما عناه بعبارته، غيرَ أنه- مع الرفض- قال له كلاماً في منتهى الأهمية:

- ستعرفُ معناها بسهولة حين تصبح عاشقاً. العشقُ مفتاحٌ لكل معنىً جميل.

تساءل محمود:

- ومن أين آتي بمعشوقة؟ هل أذهب إلى بازار العشق التافه الذي يعرض بضائعَهُ على النت في هذا الموقع أو ذاك؟ أم أتصيَّد كالمراهقين صبيَّةً على الرصيف؟!

انتهى العاشقُ من سيجارته، أطفأها في المنفضة ردَّ قائلاً:

- من يبحث عن العشق لا يجده يا صديقي. العشقُ يبحث عن الجديرين به.

انطلق محمود من المقهى، بوصلةُ قلبه الخفيَّة وجَّهته نحو المركز الثقافي في بلده، وهناك كانت بانتظاره مفأجاةٌ حلوةٌ، باهرة، ربما أعدَّتها له أفروديت إلهةُ الحب!

التقى في ذلك المركز صبيةً ناعمةً، ناعسةَ العينين، عرف أنها المسؤولةُ عن إعارة الكتب، طلب منها كتاباً في الشِّعر، وتحديداً في شِعر الحب، فقدَّمت له ديوانَ الشاعر الأموي: عمر بن أبي ربيعة، وقالت له: بعد الانتهاء منه سأعيرك كتاباً رائعاً آخر، هو: (طوقُ الحمامة) لابن حزم الأندلسي. في لحظة تناوله للكتاب من أصابعها وقعت عيناه على بؤبؤيها العسليين، ووقعت عيناها على بؤبؤيه المرتجفين، فتحرك مغزل الأشواق ونسج الخيطَ الأول لقصة حب بين شاب، وفتاة. تطوَّرت العلاقةُ سريعاً إثرَ ذلك، فخطبها محمود، وذاتَ مغرب فاجأها نائمةً على الديوانة في منزل أهلها، فصاح: الله، وهو يشعر بأنها زادت جمالاً في حالة النوم! أخرج مفكرتَهُ في الحال، وكتب: الجميلاتُ لا ينمن: المقصود: يبقى جمالهن مستيقظاً يفتك بالناظر إليه، ثمَّ توغل في الحب أكثر، فأضاف بعد أسابيع: ولجمالهن إشعاعٌ عجيب ينطلق مُحمَّلاً بالإغراء كضوء النجوم، فيصيبُ قلبَ شاب على مسافاتٍ بعيدة! ألا يلاحظ

الشبانُ أحياناً وهم في غرفهم أنَّ امرأةً جميلة عبرتْ خيالَهم على حين غرَّة! امرأةً لم يعرفوها، ولم يلتقوا بها من قبل!

وقعت مفكرةُ محمود في يد حبيبته مسؤولةِ الكتب في إحدى الأماسي، فضحكتْ بعد أن قرأت ما فيها، قالت:

- عندي شرحٌ أحسنُ لعبارتك.

عبَّ محمود رشفةً من عسل عينيها، قال:

- أعرفه قبل أن تقوليه. شرحها هو أنتِ. إنكِ عبارةٌ فاتنة من لحم ودم لا تنام، ولا تدعني أنام.

***

2020/6/2

تواليت العميد[1]

قادته خطاه المنحوسة المتعوسة إلى مجلة (كتاكيت) بعاصمة بلاده. فأر الحاجة الذي يقرض أيامَه، وينطنط في زوايا عمره قال له: اذهب إلى هناك، واقبض مكافأةَ القصة المنشورة في العدد ما قبل الأخير.

إنه كاتبٌ للأطفال يعيش في إحدى البلاد العربية التي أصبحت الكتابة فيها أقصرَ طريق للفقر، والبهدلة، وقلةِ القيمة! وها هو قد وصل صباحَ اليوم إلى العاصمة من مدينته البعيدة لحضور اجتماعٍ في مؤسسة ثقافية عند الظهيرة. تعويضُ الاجتماع مبلغٌ زهيد، ستبتلع ثلثيه أجرةُ السفر، وتكلفةُ الطعام، والتنقلاتُ الداخلية بحافلات قديمة مهترئة، كأنها توابيتُ متحركة!

أسرع إلى المبنى الذي تُكشِّر على بابه غرفةُ الحراسة، وبعد التفتيش، وجسِّ الجيوب والخواصر، وتسجيلِ الاسم وجد نفسَهُ في الداخل.

ماذا حدث في معدته فجأةً؟ لا يدري! مغص؟ زلازل؟ مفرقعات؟ تجربةٌ نووية؟! كان يتمشى بأمان الله في الممرات بانتظار قدوم المحاسب، والمبنى يعود لجهةٍ عسكرية،

---

[1] تواليت: كلمة غير عربية تعني: مرحاض أو دورة مياه.

فتكرَّمت الجهةُ- فيما يبدو- على المجلةِ بإحدى غرف المبنى، أو ربما لتكون المجلة مع الأطفال الذين تتوجه إليهم تحت عينِ الحكومة الساهرة.

مع المشي كان يرى فوقَ الحيطان بازاراً ملوَّناً من الشعارات المكتوبة بخطوطٍ عريضةٍ عملاقة، تتوسط الشعارات صورةُ مسؤول كبير، بدا كأنه بائعُ خضار يقف منادياً لبيع شعاراته! الألوان الفاقعة لخطوط الكتابة ذكَّرتْهُ بألوان خدود الراقصات، وصباغِ شفاههن!

أمسكَ بطنَهُ بيده اليسرى، واندفع إلى آخر الممر حيث دورةُ المياه، لكنه- لسوء الحظ- وجدها مقفلة! لا حول ولا قوة إلا بالله. من أين جاءَهُ هذا البلاء؟ إنه لم يأكل أيَّ شيء أثناءَ قدومه ليلاً بالباص من مدينته. هل أصابه برد؟ مرض مفاجئ؟ أم انفجر في أمعائه بئر بترول؟ أم هو مشهد الحيطان؟ أم.. أم؟ لا تعنيه الأسئلة ولا إجاباتها، كلُّ ما يعنيه أن لا يفعل في ثيابه ما يفعله الصغار في ثيابهم، فينالون لطَّاً على أرجلهم، وأقفيتهم.

انتبه فجأةً إلى وجود ممرٍ فرعيّ، فهرول فيه بلا إبطاء بحثاً عن غايته، وحين رأى دورةَ مياهٍ صغيرةً مفتوحة لمعَ بورسلانُها في عينيه كمدينةٍ من اللؤلؤ، دخل، وأغلق الباب، وبسرعةٍ صاروخية أنزلَ بنطالَهُ، وسروالَهُ الداخلي، لكنه ما كاد يجلس فوق (التواليت الإفرنجي) الذي يكره استعمالَهُ حتى سمع طرقاً متلاحقاً على الباب، وصوتاً يسأل:

- ماذا تفعل هنا؟!

قذفه السؤال فوق قمةٍ عاليةٍ من التعجب. ماذا يفعل الإنسان في مكان كهذا؟ يرقص؟! يغني؟! يحل مسألة رياضية؟!

أجاب بالنحنحة ليفهمَ الطارق أنَّ عليه أن ينتظر، وليس من الممكن أن يعطيه دورَهُ مهما كان، لكنَّ الطَّرق لم يتوقف! وسمع صوتاً متوتراً يهمس:

- اخرج بسرعة. تواليت العميد.

ظل لحظةً أو نصفَ لحظة يفكر: تواليت وعميد. عميد وتواليت. ما العلاقة بينهما؟! ثمَّ أدرك مصعوقاً أنَّ هذا المكان في الممر الفرعي مخصص لشخصية كبيرة، ولا يجوز أن يدخل إليه بحال من الأحوال. أقفيةُ الناس كوجوههم مقاماتٌ، ومراتب. المؤخرة العادية الحقيرة لها مكان، والمؤخرة العظيمة لها مكان آخر يليق بحجمها وحجم صاحبها. ولكنْ.. من أين جاء العميد هكذا بسرعة.؟! يبدو أنه مزنوقٌ مثله! عند دخوله كان المبنى في أول الصباح فارغاً أو شبه فارغ. هل كان معاليه في السماء يحلّق بطائرته المروحية بين الغيوم، وتناول فيها وجبةً دسمة، فأصبح بحاجة ماسة إلى تواليته الخاص؟!

نهض قائلاً للصوت الذي يقف صاحبه مشتعلاً أمام الباب:

- خمسَ دقائق من فضلك. سأخرج. أنا آسف.

ردَّ الصوت كأنه زوبعة:

- دقيقة واحدة لا غير يا بني آدم. أنا حاجب العميد، ستخرب بيتي.

ضغط على كبسة الماء، نسيَ أن ينظِّف مؤخرتَهُ المسكينة، وفي مدى الدقيقة العسكرية المتاحة له تحرَّكَ طبعُهُ الساخر، فتخيَّلَ أنهم قبضوا عليه، وقادوه إلى محكمة ميدانية، صاح به القاضي:

- مَنْ دفعكَ يا عميل لتخترقَ هذا المكانَ الجليل بكلِّ وقاحة؟!

وجدَ لسانَهُ يابساً، فتابع القاضي:

- إيَّاك أن تظن بأننا غافلون عن نواياك. نحن مُستهدَفون، وأعداؤنا عيونهم مفتوحةٌ علينا كعيون الجن والشياطين! لكننا منتبهون لأصغر حركاتهم وسكناتهم. نرى الشَّعرةَ البيضاءَ في اللبن، ونبصر الشُّعيرةَ السوداءَ في الليل، وقد رأيناك وأمسكناك في الوقت المناسب. نعلمُ علمَ اليقين أنَّ العدو يهمه جداً أن يصلَ إلى هذا المكان ليأخذ شيئاً من آثار رجالنا، ويقومَ بتحليله، ولكنْ خسئتَ أنتَ، وهو، والدنيا كلُّها لن تظفروا بمرادكم، ولن تنالوا ذرةً من غبار نعالنا.

زفرَ القاضي بعد نشوته الخطابية، ثمَّ أضاف:

- يجب أن أحكمَ عليك بالشنق من خصيتيك حتى الموت، غير أنني- نظراً لما ألاحظه عليك من البَلَه والخرس،

ولأنك كاتبٌ للأطفال كما فهمتُ من أوراقك- سأكتفي بإجلاسك على صاجٍ مُحمَّى حتى لا تكرر ما فعلتَهُ مرةً أخرى.

صاح القاضي: فُكُّوا بنطالَهُ، وخذوه إلى الصاج.

ما كاد يسمع صيحةَ القاضي حتى أسرعَ بالخروج من التواليت كالمجنون! هل أدخل أزرارَ بنطاله في عراويها جيداً؟ هل وضع أطرافَ قميصه تحت الحزام؟ هل غسلَ يديه؟ تساقطت هذه الأسئلة من رأسه كورق الخريف، داسَ فوقها وهو يغادر. كان خائفاً أن يعترضه الحاجب، لكنه- لحسن الحظ- أبصرَهُ منشغلاً مع زائر في غرفته الصغيرة. طار بساقَيْ غزال، لم يخرج من التواليت فقط، لكنه خرجَ من المبنى كلِّه.. حتى إنه نسيَ أن يقبضَ المكافأة التي جاء من أجلها!

***

2019/10/25

أحلامٌ، وزجاجةٌ مكسورة

أنا شاب أحلمُ كثيراً، وكأنَّ في رأسي مفرخةَ أحلام، أتصوَّر لو أنَّ يداً فتحتْ رأسي لطارت الأحلامُ المكدَّسةُ فيه، كما يطير النحل من خلية عسل تمَّ فتحها! ولعل سببَ كثرةِ أحلامي أنني شخصيَّةٌ رومانسيَّة من ناحية، ومن ناحية أخرى أنا محروقُ القلب بنيران الشوق، فقد تجازوتُ السادسةَ والثلاثين، ولم أتزوج مع أنني أعشقُ فتاةً اسمُها خلود! آه.. الربُّ وحدَهُ يعلم قصتي، فالفقر لا يريد أن يتركني، كما لا يترك القملُ شَعرَ البدويَّة الطويلَ المتسخ! آخ يا حظي العاثر اشتغلتُ بأعمال كثيرة، آخرها صانع بدكان نجارة، لكنَّ الأجرَ زهيد تستهلكه نفقاتي الضرورية. المهم معظمُ أحلامي يحدث في اليقظة، وكأنَّ الحلم عندي يحبُّ النُّور! كيف أحلم؟

في الغرفة التي أسكنها زجاجةٌ مملوءة بالماء إلى نصفها مركونةٌ عند النافذة، وفيها ورود، أجلس على الكرسي، وأنظر إلى داخل الزجاجة، فتتحول سيقانُ الورد بعد قليل إلى غابة تطلع منها صبيَّة باهرة! الصبيَّة شَعرها طويل كما أُحب، يتحرك خلفها كغيمة شقراء! تمشي الصبيَّة في الغرفة أمامي مشيةَ إغراء، فتتحوَّل أعضائي كلُّها إلى شمع، ويبدأ بالشمع بالذوبان.. ذوبانٍ لذيذ موجع! أحياناً لا تكتفي

الحلوة بخطوات الإغراء، فتتكرم عليَّ برقصةٍ رشيقة، عندئذٍ تتحوَّل أعضائي إلى آلةٍ موسيقية صاخبة كالجيتار أو هادئة كالناي، وذلك حسب صخب الرقصة أو هدوئها!

منذ أيام خرجت الصبيَّة من الزجاجة، لكنها لم تمشِ في غرفتي مشيةَ إغراء، ولم ترقص، إنما جلستْ بقوامها الرائع على الكرسي المقابل لكرسي الخيزران الذي أجلس عليه، وفاجأتني بقولها: مسكينٌ أنتَ يا ساهر، حياتُك انتظار، والانتظارُ صعبٌ.. صعب، لكنكَ شخصٌ رائع. إنني أعيشُ في أعماق غابة سيقان الورد، وأجملُ لحظة عندي حين تناديني عيناك، فأطلُّ من غابتي.

قلتُ لها: كم تشبهين فتاةً أحبها، اسمها: خلود. هل تسمحين لي بأن أناديكِ باسمها؟

قالت: مع أنني أغار كثيراً، لكنْ لأنَّ فتاتك تشبهني سأقبل ذلك.

ثمَّ أضافتْ مفاجأةً جديدة: أنا أعرف قصتكما. أنتما متحابان، غيرَ أنَّ أمها المتنفذة في أسرتهم رفضتك، لأنَّ جيبك لا يحوي غيرَ القليل. لكنَّ الفتاة- والشهادةُ لله- مازالتْ تحبُّكَ بجنون، وتفكر فيكَ في كل لحظة.

قلتُ: أرجوكِ أخبريها إنْ كنتِ ترينها بأنني أتقنتُ مهنةَ النجارة، وهي مهنةٌ تدرُّ ذهباً، وقريباً سأفتح دكاناً خاصاً، ولن يمضي وقتٌ طويل حتى أقذف نهراً من المال في يد أمها لتسكت.

نهضتُ من مكاني لأقتربَ من جليستي، لكنَّ خلود الورد اتجهتْ إلى غابتها واختفتْ هناك. أمَّا خلود الحقيقية فلا أعرف عنها شيئاً!

مرَّت عدةُ أيام بعد ذلك لم تظهر فيها خلود الورد، وخلودي التي أحببتُها تمنعها أمها من لقائي! والأسوأ أنَّ مدينتنا اشتعلتْ فيها حرب داخليَّة، فأغلقَ صاحبُ دكان النجارة محلَّه، كما توقف عددٌ كبير من المهن! انتقلتُ للعمل في مصنع بلاط، لكنَّ هذا توقف أيضاً! وذاتَ ليلة بينما كنتُ أنتظر خروجَ الصبيَّة من الزجاجة جاءت من النافذة طلقةُ قناص أصابت رأسَ الزجاجة، فانكسرت رقبتها، وانقلبتْ على حافة النافذة مما أدى إلى سقوط الورد، كما أنَّ الرصاصة مرَّت فوق كتفي، وكادت تفتك بي!

بقيَ لديَّ نصفُ زجاجة تقريباً، غسلتُها من شظايا الزجاج، وأعدتُ الورد إلى داخلها، لم أشأ تغييرَها لارتباطها بخلود، خرجتْ خلود الورد منها بعد يومين، فبدتْ حزينة كأنها تخرج من أطلال وخرائب! لم تمشِ مشية إغراء! لم ترقص، لم تجلس على الكرسي، لكنها نظرتْ إليَّ ملياً، كأنما جاءت لتطمئن عليَّ، ثم عادت إلى غابة سيقان الورد، واختفت هناك!

البنادقُ المتصارعة في مدينتنا المنكوبة التي تُسمَّى: أمَّ التين والزيتون كلٌّ منها أسوأ من الآخر، وأبناءُ المدينة المساكين يدفعون ثمناً باهظاً نتيجة لاقتتال هؤلاء، فالموت

يترصد بهم دون ذنب! والرهبةُ تستوطن قلوبَهم! حتى أشجارُ زيتونهم، وهي مصدر رزقهم الأهم تتعرض لحملات حرق واجتثاث!

عند الفجر في إحدى الليالي عزَّ عليَّ النوم، ولم أظفر لا بخلود الأصليَّة، ولا بخلود الورد، تنهدتُ في تلك اللحظات ليلاً من أشواق، وتذكَّرتُ أبي وأمي اللذين افترقا، ومضى كلٌّ منهما لحياته الخاصة في زواج جديد! تذكَّرتُ دكانَ النجارة المغلق، ودروبَ مدينتنا المسكونةَ بالأشباح! تذكَّرتُ نحسي الذي أراه بحجم صخرة كبيرة مدببة، بينما نحوس غيري من التعساء بحجم حصاة! فجأةً دوَّى انفجارٌ كبيرٌ في حارتنا قريباً من غرفتي! طار مع الانفجار النصفُ المتبقي من زجاجتي الغالية! كما تناثر الورد الذابل الذي كان في داخلها! وأنا أيضاً لم أنجُ من الضرر، فقد أصابت شظايا من زجاج النافذة صدري، ورقبتي، وذراعيَّ! وانغرسَ بعضها في خديَّ الناحلين! أحسستُ بخيوط دم تسيل على وجهي، وشعرتُ بثقلٍ في أطرافي السفليَّة. هل ضاع كلُّ شيء؟! اقتربتُ من النافذة وصرختُ بما تبقى لديَّ من قوة: كلاب، حاولتُ أن أعيدَها، لكنَّ الوهن تسرَّبَ إلى لساني، وسقطتُ في فم ظلمةٍ بعيدة!

***

2020/7/5

من عالَم الشَّجر

حطَّ عصفورٌ على غصن من شجرة شِربين. كان أمامه في رأس الغصن ورقتان.

الورقةُ الأولى خضراءُ زاهية.

الورقةُ الثانية شاحبةٌ شائخة في طريقها إلى الموت.

الأولى كانت تغنّي بشفاه اخضرارها: اجعل ابتسامتَكَ أكبرَ من أجلي أيها الكون. أيتها العصافير أقبلي زغردي من حولي.

الثانية كانت تدندن بصوت متحشرج: أمهلني قليلاً أيها الموت. لم أشبع بعد من ذلك اللؤلؤ الذي يسمونه نورَ الصباح.

سمعت الورقةُ الأولى الدَّندناتِ الحزينةَ للورقة الثانية، فوبَّختها على غنائها الكئيب الذي أفسد عذوبةَ الضحى! كان العصفور يسمع الكلامَ كلَّه، فأمرهما بتبادل المواقع، فصارت الخضراءُ شاحبة، والشاحبةُ خضراء.

تقول الحكاية:

سقطت دموعٌ من فوق ذلك الغصن بعد قليل، هي دموعُ الورقة الأولى! دمعةٌ فيها اعتذار، دمعةٌ فيها حب، دمعة فيها مواساة! لم تكتفِ الورقةُ بذلك، لكنها تبرَّعتْ بشبابها للثانية رافضةً أن تستعيدَهُ منها! دموعها كانت

صافيةً جداً كما لاحظ العصفور، نزلتْ أولاً إلى سطح التراب، ثم غلَّتْ في أعماقه، وبعد سنوات نبتَ من تلك الدموع شاعر!

***

2020/7/6

مونديال

وجدَ ابنُ حارتنا لطفي الملقَّب بـ(النَّغنوغ) نفسَهُ في موقف صعب.

(مونديال 2010) يقترب وبينه وبين كرة القدم حالةٌ من عدم الاستلطاف! فهو كلمَّا سمعَنا نتحدث عنها- نحن فتيانَ الحارة- قال باسماً: (البطيخة النطَّاطة أخذتْ عقولكم، بلعتْ حياتَكم! واللهِ جمهورية المهابيل أكبر جمهورية في هذا الزمان)!

ننظر إليه عندئذٍ نظرةَ عتاب ونحن واقفون تحت الشجرة الكبيرة في حارتنا.. ذلك المكان الذي نسمّيه (مقهى على الواقف)، فيرفُّ بأجفانه، ويمضي.

والنَّغنوغ رجلٌ في الثلاثين، عقله خليط من الذكاء والسذاجة، وهو صغيرُ الجسم كأنه طفل، وديعٌ كقطة، يحبُّ المزاح الناعم، لكنه يكرهُ الضجيج، ويقول منزعجاً إذا صرخَ أحدُنا في وجهه: دخيلك أنا رأسي مخلوق من زجاج. وبسبب الضجيج فهو يبتعد عن كرة القدم.

حاولَ النغنوغ أن يفرَّ بنفسه من الضجة الكبيرة، لكنَّ الجهاتِ كلَّها أخذتْ شكلَ كرة! الأصواتُ جميعها تكوَّرتْ! قرونُ الفليفلة الخضراء والحمراء تخلَّتْ عن استطالتها

وصارت كروية! الدروبُ من دون استثناء أفضتْ إلى أرجل اللاعبين! السياراتُ وعرباتُ البيع والطراطير مرَّتْ فوقها فراشي الدهان ورسمتْ أعلامَ الدول المشاركة!

من شفاه الكبير والصغير تطايرتْ بحجم الفضاء كلمة: مونديال!

المقمَّط في السرير صار قبل أن يصيح: ماما يهتف: مونديال.. مونديال!

أمام هذا كلِّه جرى لنغنوغنا ما لم نتوقعه، وما يمكن تصنيفُه عجيبةً ثامنة فوق عجائب الدنيا السبع!

فوجئنا أولاً بالنغنوغ يلبس قميصاً عليه ألوان العَلَم الفرنسي: أزرق، أبيض، أحمر! أي أنه صار من أنصار ذلك الفريق، وعشاقه!

صار يتكلم بعد ذلك بصوت قوي عريض، كأنه صوت المطرب: فهد بلان! مع الكلام يلكز المستمعَ في صدره، ويتناثر رذاذٌ من لعابه في وجهه، وهو يتحدث عن المونديال القادم!

فوجئنا به أيضاً يغنّي أغنياتٍ رياضيةً أجنبية، ويصيح بنا، وهو يتمايل: ردّدوا ورائي، وحين نعجز عن ذلك، لأننا لا نحفظ تلك الأغاني، يتمتم: الله لا يعطيكم العافية. هذه الأغاني يا نَوَر أهمُّ من مقررات المدرسة!

ثمَّ جرى ما هو أعجب.. أخذ النغنوغ يتصل بنا بالهاتف لبيوتنا في وقت متأخر، فيوجه لمن اتصل به- بعد سلام مقتضَب- زخَّاتٍ من الأسئلة:

* ما هو رأيك في استعداد الفريق الفرنسي؟

* ألا ترى أن نجم هذا الفريق زين الدين زيدان تقاعدَ باكراً؟

* ألم تكن خسارة البرازيل أمام الفرنسيين مخجلة في مونديال 1998؟

* لماذا يهتم السياسيون بالكرة.. هل يتعلَّمون منها تسجيلَ الأهداف على بعضهم؟

في جوَّاله وضعَ صوراً للاعبين قدامى من شتى أنحاء العالم، وراح يسألنا عن أعمارهم، وأسماءِ فِرَقهم، وكم كان أجر الواحد منهم؟ وحين نتعثر في الأجوبة يقول مع شبه ابتسام: العمى في عيونكم! أمُّيون في الثقافة الكروية! روحوا ضعوا رؤوسكم بجانب قشر البصل في أقرب حاوية!

ثمَّ اتصل مرةً بمجنون الكرة الأول في حارتنا ناجي ليسأله هذا السؤال:

* إذا احتاج اللاعب أثناءَ المباراة إلى بيت الخلاء- لا مؤاخذة- فماذا يفعل؟

اعتذر ناجي بأنه مشوَّش الذهن، فهو في المشفى بجانب والده المصاب بجلطة، فأجاب النغنوغ: شفاه الله، لكنني أريد الجواب منك بعد شفائه مباشرةً. إياك أن تنسى. هاه. إياك أن تنسى.

فكَّرنا في حالة النغنوغ، وتبادلنا الرأي ونحن تحت شجرة الحارة/ مقهانا على الواقف، فقال قائل:

- سبحان مغيِّر الأحوال!

وقال آخر: هذا انقلاب عسكري قام به النغنوغ على نفسه. ألا ترون عابداً يصير زنديقاً فجأةً أو زنديقاً يصير عابداً؟!

وقال ثالث: هذا من تأثير الإعلام: قَسَمَاً إنَّ جدتي بعد أن تنهي الصلاة تسألني: هل تراهنني على أن فريق البرازيل سيفوز هذه السنة؟ ولأنها دون أسنان تلفظ كلمة سنة: شنة!

مع انطلاقة المونديال بدأنا المشاهدة في بيت أحدنا مستعينين بـ(دِنْغِل) يفكُّ المحطات المُشفَّرة، كنا في ذلك اليوم ستةً من فتيان الحارة عشاقِ الكرة، انضمَّ النغنوغ إلينا، فاستقبلناه بكأس شاي، وجلسنا نُحدِّق في الشاشة.

كانت المبارياتُ الأولى فاترةً، واللاعبون ثقيلين في حركتهم كأنَّ كلاً منهم قبل دخوله إلى الملعب أكلَ طنجرةً من الحمص! فإذا بالنغنوغ يدقُّ الطاولة بطريقة القبضايات، ويقول: تهدل المونديال يا شباب.. إي بشرفي تهدل، ولن ينصلحَ الحال إلا عندما يلعب الفرنسيون. إنهم يغلبون الجميع، وما لهم غالب.

وذاتَ يوم كان الحَدَث الكبير العظيم.. جئنا، والنغنوغُ معنا لمشاهدة مباراةٍ أحدُ طرفيها الفريقُ الفرنسي، معشوقُ نغنوغنا المفضَّل. ما كاد الحَكَم يصفرَ معلناً بدءَ المباراة حتى فتحَ صاحبنا النغنوغ عينيه بحيوية وهيام وغرام، وقال لنا: هس، ولا كلمة.

كان أداءُ فريق صاحبنا ضعيفاً متواضعاً، فأخذَ شاهر، وهو واحدٌ من شُلَّتنا معروفٌ بحبه للمزاح والتنقير يُطلق تعليقاتٍ ساخرة يهزأ فيها من أداء الفرنسيين، ويصفهم بالضعف! ومن سخرياته:

(ونْ.. ونْ. فرنسا فريقكْ عَمْ بيعنْ)

(طُوْطْ.. طُوْطْ حالكْ يا فرنسا مَخبُوطْ).

وجَّهَ النغنوغ إلى شاهر زوراتٍ ناريةً في أول الأمر، ثمَّ طقَّ معه عرقُ الحياء بعد ذلك، فأخذ يُوبّخه بكلماتٍ من العيار الثقيل، مثل: (اسكتْ يا دب)، (العمى في قلبك)!

وعندما خسر الفريق تلك المباراة بسطَ صاحبُ التعليقات كفَّه اليسرى ودقَّ فوقها بقبضته اليمنى قائلاً: نعيماً!

ردُّ فِعلِ النغنوغ كان غريباً جداً، لو حكى لنا أحدٌ عنه لما صدَّقناه.. قام نغنوغنا أولاً بقذف نفَّاضة السجائر على خصمه! طارت النفَّاضة، ثم نزلتْ كطُربوش على رأس حصانٍ من الجِبس مركونٍ فوق طاولة، نظرَ الحصانُ نحونا محتجاً! هَمَرَ النغنوغ بعد ذلك كضبع، وهجمَ على عدوه يا قاتل يا مقتول!

منظرُ النغنوغ المهاجم الذي لم يقاتل أحداً في حياته كركرَ خواصرَنا. أمسكناه.. اثنان من يديه واثنان من قميصه، ونحن نقول:

- نغنوغ يهديك يرضيك. طوّلْ بالك.

- النغانيغ قلوبُهم طيّبة. سامِحْهُ إكراماً لذقوننا.

- معقول يا نغنوغ.. من أجل الكرة التي تسمّيها: البطيخة النطَّاطة تفعل كلَّ هذا؟!

بوَّسَنا ذقنَ النغنوغ وخديه، فتركَ صاحبَ التعليقات أخيراً، إلا أنه التفتَ إلى الشاشة، صبَّ سيلاً من الشتائم على حكام المباراة! وصرخ بعصبية، وكأنه من المكان الذي نحن فيه يريد أن يُوصِلَ صوتَه إلى الملعب

الذي جرت فيه المباراة: هذا لا يجوز يا حمير. الفرنسيون يخسرون؟! إذا كان عندكم دم قوموا احجبوا الكأس وأوقفوا المونديال!

قبل أن ننصرف إلى بيوتنا منزعجين كان يشغلنا هذا السؤال: هل حقاً تغيَّرَ النغنوغ بهذه السرعة العجيبة، ودخلَ إلى عصفورية الكرة؟ أم أنه- بما رزقَهُ الله من ذكاءٍ إلى جانب سذاجته- قدَّمَ لنا صوراً واخزة لما يفعله المهووسون بالكرة، ولا سيما تعصُّبُهم لفريق دون آخر، وما يجرُّه ذلك عليهم من حماقاتٍ عجيبةٍ مخجلة؟

***

2010/8/28

شَعرٌ طويلٌ، وطاقيةٌ بيضاء

أمامه كانت تسير على الرصيف. صبيَّةٌ تفنَّنَ الحُسن في نحت قوامها من الخلف، كتفاها آه! خصرُها آه! ما تحتَ خصرها آهٍ ثمَّ آه! أمَّا أجملُ ما فيها فشَعرُها الفاتح الطويل المتطاير تحت طاقيةِ صوفٍ بيضاء!

كان الخريف سعيداً بمرورها، وكذا الرصيف ببلاطاته السمراء، وهو أيضاً كان سيدَ هؤلاء السعداء!

انتبه فجأةً لشَعرها المتطاير. إنه لا يلعب مع الهواء فقط، لكنه يكتب على صدره كلماتٍ، وكلمات! تُرى ماذا يكتب؟ ليته يعرف، يجب أن يعرف.

نظر بعينَيْ قلبه، دقَّق النظر، فتمكن من القراءة، كان الشَّعر ينقش هذه الجمل فوق كُرَّاسةِ النسيم:

(لا تقولوا: نهر النيل أطول الأنهار. أنا أطولُ منه.

لا تقولوا: النسر أقوى الطيور. أنا أحلِّق أعلى منه بكثير.

لا تقولوا: الياسمينُ أطيبُ العطور، فرفَّةٌ صغيرةٌ من عطري تتفوقُ عليه، وتُنسيكم إياه.

إذا أتيح لشاب أن يضعَ خدَّهُ على خصلاتي تجاوز الفردوسَ، وصار في عالَم مالا عينٌ رأت!)

حثَّ الشاب خطاه ليحاذي صاحبةَ الشَّعر المتطاير، علَّ خصلةً من خصلاته تلمس كتفيه، علَّ دفقةً من عطوره

تصل إلى أنفه، لكنَّ الصبيَّة اختفت بغتة! واختفى الرصيفُ وبلاطاتُه، والخريفُ ونسماتُه!

كان الشاب جالساً في خيمة مقطوعَ الساقين بسبب الحرب السورية، خسر بيته، ووطنه، وصحته، ولم يبقَ له إلا حديقةُ صور في رأسه يفتحها، ويجري مع صورها صباحَ مساء كنحلةٍ مجنونة!

***

2020/7/22

أُمَّان

رجلان يسيران في طريق واحد.

الأول يحمل أمَّهُ الهرمةَ على ظهره. الثاني يحمل الكرةَ الأرضية، ويسميها أمَّه. أمُّ الرجل الثاني كانت كالأولى شاحبةً هرمة.

سأل كلُّ رجلٍ أمَّه: هل تأكلين؟

فجاء الجواب: لا.

- هل نجلس في ظل شجرة؟

- لا.

- أريد أن أسعدَكِ ماذا أفعل؟

- خذني إلى النبع لأغتسل من الذنوب.

حين وصلا إلى نبع قريب، وضع الرجل الأول أمَّه في البحيرة الصغيرة المتشكلة من ماء النبع، فظهرت حولها داخلَ المياه بقعةٌ صغيرة رمادية بحجم ذنوبها، ثمَّ اختفت البقعة بعد قليل، وعاد الماءُ نقياً طاهراً، لكنْ ما كاد الرجل الثاني يضع أمَّهُ الكرويَّة في الماء حتى ازرقَّ الماء، ثمَّ صار أسودَ قاتماً! أراد الرجل أن يقول لأمه: ما أكثرَ ذنوبكِ يا أماه! لكنَّ شدةَ سواد الماء ربطتْ لسانَه!

أراد النبع أن يصرخ: خذ أمَّك، وابتعد، فهذا الماء الأسود سيقتل الخرافَ التي ستشربُ منه، وسيفتك بالأشجار التي يصل إليها، لكنَّ المشهد المريع شلَّ لسانه!

أرادت الأمُّ نفسُها أن تصرخ: كرهتُ ذنوبي، كرهتُ ما فوقي من قتلٍ ودمار! من أرغفةٍ محجوبةٍ عن البطون! من سادة يصنعون كراسيهم من عظام البشر! من واقع مرير، ومستقبلٍ أشدَّ مرارة! لكنها عجزَتْ! وظلَّ الماءُ الأسود يتدفقُ.. يتدفق!

***

2020/7/14

المشي على طرفِ الغيمة

على طريق إدلب دمشق نزلَ الضباب، مدَّ في الأفق غلالةً من غَبَشٍ رقيق، كأنها بوابةٌ لعالم الأحلام.

خلف زجاج (البولمان) جلس رجل في الخمسين هوايته التأمل والشرود، خطفَهُ المنظر، طار به بعيداً وقريباً، فتحَ في خياله طريقاً لصور وذكريات لها علاقةٌ بالضباب..

أولُ ما ارتسمَ في مخيلة الرجل حمَّامُ السُّوق حيث يُفاجَأ الداخلُ إلى قسمه الجواني ببخار كالضباب يحجب الرؤية. ذلك البخار الضبابي اللطيف يجعلك تمشي بحذر، وأنت تمدُّ إحدى ذراعيك أمامك، وقبل أن تصبح عيناك قادرتين على التمييز، غالباً ما تجري أمور طريفة، فقد تلمس ذراعك الممدودة جسماً عارياً من نصفه الأعلى، فتنطلق في لحظة واحدة صرخةٌ خفيفة أو ضحكةٌ رنانة من كليكما، وبعد الضحكة يكون تعارفٌ، ثم بذرةُ صداقة ومودة! وقد يشف البخار الضبابي عن مجموعة من الرجال أو الفتيان يستحمون ويتضاحكون حول جرن كبير، تسبح طاسةُ الماء فوقه كسمكة. يخطر في بالك للوهلة الأولى أن هؤلاء كائنات بخارية أو ضبابية.. فملامحهم ليست واضحة أو هي ناقصة، بعضهم ليس له فم، وبعضهم ليس له رقبة، وبعضهم اختفى كلُّه فلا تلمح إلا جزءاً من مئزره!

بعد الحمَّام انتقلتْ مخيلةُ الرجل الخمسيني إلى صورة أخرى، فحين تركَ زجاجَ البولمان الجانبي، ونظر من الزجاج الأمامي رأى المشهدَ بديعاً خلاباً.. لقد امتد الضباب فوق الطريق كغيمة بيضاء، كأنها نزلتْ تواً من السماء. لا..لا. خُيِّل إلى الرجل أن البولمان بركابه صعد إلى السماء، وهو يمشي على أطراف الغيمة كلاعب سيرك يجرب مهارته في المشي على حبل! وكلما تأرجح البولمان في سيره، صاح في سره صيحةً مرحة: ياه.. الآن سنسقط من طرف الغيمة. ليتنا ننزل على كومة ثلج أو قطن.

إلى صورة ثالثة طارت مخيلةُ الرجل.. كانت الصورة هذه المرة ذكرى بعيدة معطَّرة بروائح الطفولة، لا يدري كيف حَملَهُ الضبابُ إليها!.. ففي الثانية عشرة من عمره كان يلعب بالكرات الزجاجية مع مجموعة من أطفال الحارة بينهم إخوته.

أخرجتهم إلى الحارة روائحُ الربيع، بعد أن رحل شتاءٌ طويلٌ، عامر بالثلج والبرد والضباب.

على حين غرَّة جاءت (خلود) ابنةُ الجيران، الملقبة بـ(حسن صبي)، لأنها تلعب أحياناً مع الصبيان رغم تحذيرات أمها وأبيها.

تحوَّلت المجموعة حالاً إلى لعبة خطرة يخافها هو كلَّ الخوف. اللعبةُ هي المشي على رأس جدار ضيق ارتفاعه ثلاثة أمتار.

خلود- رغم صغرها- تبدو واثقةً من نفسها، وهي تحب الأطفالَ الشجعان، تصفق لهم، وما أجمل أن تصفق له كفاها! شَعرها الأجعد وبشرتها السمراء يتركان في قلبه شعوراً غامضاً بلذةٍ من نوع خاص.

بدأ أفراد المجموعة يصعدون الجدار متباهينَ أمامها، أخذوا يمشون، بعضُهم ينجح، بعضُهم يحسُّ بأنه سيقع، فيسرع بالقفز إلى الأرض.

جاء دوره، تردد لحظة، لكنها حين نظرتْ إليه وثب إلى الجدار كأرنب! قطعَهُ برشاقة غريبة من أوله إلى آخره! وصلَ تصفيقها إلى أذنيه، نفخَ صدره، وشعر برأسه يرتفع إلى السماء، ودون تفكير اتخذ قراراً مجنوناً بأنْ يقطعَ الجدار عائداً إلى نقطة البداية، يقطعه ركضاً في هذا الشوط، كأنما ليسمع تصفيقَها مرة ثانية.

انطلق بسرعة، لكنَّ الجدار اختفى فجأة من تحت قدميه، ووجد نفسَهُ في عالم من ضباب! عالم لم تكن فيه خلود، ولا الحارة، ولا المجموعةُ كلُّها! ماذا جرى؟ لقد سقط من فوق الجدار، وانكسرتْ ساقه!

حين استلقى على فراشه في البيت كانت ساقه ملفوفةً بالجبس والشاش، إخوته من حوله متألمون، نظر إليهم، لعله يرى بينهم ذاتَ الشَّعر الأجعد الملقبة بـ(حسن صبي)، لكنها لم تكن هناك، غيرَ أنَّ النوم حين أخذ يتسلل إلى عينيه

خُيِّـل إليـه أنَّ وجهـا خلـف زجـاج النافـذة، ينظـر نحـوه بإشفاق، ويقول: جئتُ لأطمئن عليك!

بعـد صـورة الغيمـة وذكـرى خلـود فـتحَ الضـبابُ أمـام مخيلـة الرجـل الخمسـيني صـوراً أخـرى كثيرة، وكأنَّ رأسـه أصـبح شاشـةَ عـرضٍ للخيـالات الطريفـة الممتعـة، لكـنَّ الضباب تلاشى تدريجياً، ثم اختفى قريباً من دمشق، فامتلأ قلب الرجل بالحسرة.. حتى إنه تمنى لو كان في سيارة خاصة ليعود أدراجه إلى منطقة الضباب، ويرمي نفسه في أحضان أخيلة جديدة!

***

2011/1/9

عينان مُكحَّلتان

كعادتي كلَّ يوم أتشاجر مع الدنيا صباحاً، ظهراً، وفي الليل! أتهمها، وتتهمني، أشتمها وتشتمني، ثم نتصالح أو تصالحنا دمعتان.. دمعةٌ تقف على طرف عينها، ودمعةٌ تقف على طرف عيني!

منذ ثلاثة أيام تشاجرنا، ولم نتصالح، قلتُ لها: لم أكن أريد القدومَ إليكِ. هناك يدٌ جرَّتني من عالم الظلال إلى هنا لأرى المشاهدَ الفظيعة، وليأخذَ قلبي وجبةً من الخوف والحزن في كل لحظة! ثمَّ شددتُ شَعرها، ولم تفلح في شد شَعري لأنني أصلع! الآن في هذا المساء أجدها كحلت عينيها الفاتنتين، وفيهما رأيتُ المدنَ والشوارع، الصبايا، الأطفال، السيارات، الباعةَ وهم يطلقون نداءاتٍ عذبة على بضائعهم، مناديلَ كثيرةً تُلوِّح، باقاتِ أزهار يتبادلها عشاق، براعمَ أملٍ تكبر، قال لها فمي دون إذني: ما أحلى عينيكِ! ودون إذنها تحركتْ ساقاها، وارتمت في أحضاني!

***

2020/7/19

أبوابٌ مغلقة

بين نجوان وبين الأبواب صراع، والصراع يتفاقم.. يتفاقم! وأبوابُ نجوان ليست أبوابَ البيوت، لكنها أبوابُ الأسرار! لقد خلق الله الناسَ من لحم ودم، أمَّا هو فكأنما خلقه من خلايا الأسئلة! وأسئلته حلوةٌ مُرَّة تطير أمامه كنحل، وتطلب منه أن يمسكها، ويعثرَ على إجاباتها! يتبعها هذا الشاب حتى يلهث، وفجأةً يجد نفسه أمام باب! والباب يقول له: قف. ارجع إلى الخلف! لكنه لا يرجع، بل يدقُّ البابَ بإصرار محاولاً أن يصل إلى ما يريد.

لطالما وقف مثلاً أمام باب السر الصغير ليفهم الحزنَ الدائم في عينَيْ أمه! لكنه وجد أمامه باباً مغلقاً، فأمُّه تفضّل الصمت، ولا تقول إلا القليل الذي لا يبلُّ نصفَ غليله! كلامها أشبه بقطَّارة الدواء تنزل منها نقطةٌ نقطتان لا أكثر!

لطالما وقف أمام باب الموت، دقَّهُ بعنف، وهو يصيح: قل لي يا موت: لماذا علينا أن نرحل، ونقضي أيامنا في انتظارك؟! أنت مختبئٌ لنا في كل منحنى! في كل زاوية! خلف الدقائق والثواني! قد نغصُّ بلقمة، فتصبح اللقمة مشروعَ قتل قد يوصلنا إليك! قد نستغرق في الضحك، فتنصبُ كمينَكُ هناك، تجعلنا نصاب بالإغماء، نسقط لتمدَّ يدَكُ إلينا! لماذا لا تعرف الرحمة يا موت؟! لماذا لا تحاول يوماً أن

تضع نفسك في مكان ضحيتك؟ فتفهمَ أنها تريد أن تبقى في الدنيا، وأنها تبغض أشدَّ البغض ذلك السريرَ المُعدَّ لها تحت التراب، بل إنها تشتمه مهما زيَّنوه لها بالأقوال المعسولة عن برزخ ما بعد الموت. آه لو متَّ مرة يا موت لتوقفتَ عن حصد رقابنا. رغم هذا الكلام الطويل يبقى بابُ الموت مغلقاً، ولا يظهر منه أيُّ جواب!

لطالما وقف أمام باب الشِّعر وهو يقول: أيها الفن الرائع كيف تتكوَّن في قلب الشاعر؟ هل تتشكَّل قطرةً قطرة كما يتكوَّن المطر؟ هل أنتَ منجمُ ماس تحوَّلَ إلى كلمات؟ في البدء كانت الكلمة أم في البدء كان الشِّعر؟ فيك طفولةُ الجداول، وجنونُ البراكين، وليونةُ نهد الأنثى، وشقاوةُ الأطفال؟ كيف تجمَّعتْ فيك هذه العناصر كلُّها؟! كيف جلس النقيض في إهابك بجوار النقيض؟! يكرر نجوان كلامَه أمام باب الشِّعر، لكنه لا يسمع جواباً، والبابُ يبقى موصداً كقطعة ليل لا تتحرك!

لطالما وقف أيضاً أمام باب القسوة، وهناك بكى، ذرف قِطَعاً من روحه، وكاد يذرف عينيه. إنه يسألها بحرقة: لماذا استوليتِ على قلوب المجرمين، اللصوص، قطَّاع الطرق، المتاجرين بالأعضاء البشرية، المشتغلين في دعارة الأطفال، ففعلوا بالأبرياء ما فعلوا دون إحساس بالذنب؟! لماذا استوليتِ على قلوب الحكام في بلاد العرب، فمدُّوا شعوبَهم بساطاً، وراحوا يطؤونه بأحذيتهم! كلمَّا زاد عدد ضحاياهم

صفَّقوا! كلما زاد عدد جياعهم سمنوا، كلما مرَّ قطار الخوف على القلوب قالوا بفخر: ما أعظمنا! هيَّا أيتها الألسنة سبّحي بحمدنا، سبّحي.. سبّحي. إلى متى أيتها القسوة يبقى القاتلُ قاتلاً، والضحيةُ ضحية؟! هذا الباب كجميع الأبواب السابقة يصدُّ نجوان، ولا يقدّم له جواباً أو وعداً بجواب!

أبوابٌ كثيرة أخرى وقفَ أمامها نجوان خلال عمره الذي لم يتجاوز الأربعين، منها:

بابُ السر الكبير: لماذا جئنا إلى الأرض بيتِ الشقاء؟ ومن أين جئنا؟

بابُ النور الذي يأتي من العتمة، والعتمة التي تأتي من النور!

بابُ الفطرة البشرية: هل هي حقاً خيِّرة، وفيها غريزةُ الأنانية أسوأُ غريزة؟!

بابُ العسر الذي يحاصر بعضَ الناس طوالَ حياتهم، بينما غيرهم لهم أجنحةٌ من رَغَدٍ وحرير في كل لحظة من لحظات حياتهم!

باب هزال الخير وضعفِ وسائله أمام الشر العملاق في كل العصور!

باب الافتراس الذي تسلل إلى عالم البشر من عالم الطبيعة حيث ارتبط الافتراسُ فيها بالطعام وضرورةِ البقاء!

باب من أنا؟ ولماذا كنتُ أنا؟

اليوم لم يعد نجوان يحتمل صمتَ أبوابه، لم يعد يحتمل أن ينفتحَ بعضُها ربعَ انفتاحةٍ أحياناً ليعود سريعاً إلى انطباقه! كان يتوقع أن تفتحَ نفسَها له ذاتَ يوم قريبٍ أو بعيد، لكنَّ وقوفه طال أمامها وطال! شَعره صار أبيض! أسنانه تساقطت! أشعةُ عينيه ضعفتْ! فمتى تتكرَّم الأبوابُ اللئيمة بأن تتنازلَ عن خَرَسها، متى؟!

وبينما كان في ذروة غضبه جاءَهُ طيفٌ رائع.. طيفٌ عظيم! إنه طيفُ الشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري، مسح الطيفُ على رأسه بحنو، قال: اهدأ يا صديقي. طريقُ المعرفة طويل شاق، قد تُفتَح أبوابُك، وقد لا تُفتَح، ومنذ أولِ قدم للإنسان على الأرض وحتى آخر قدم له فوقها سيبقى هذا الكائن نصفَ عالم ونصفَ جاهل، نصفَ آمن ونصفَ خائف، نصفَ محب ونصفَ مبغض، ومن هذه الأنصاف تتكوَّن طينته، ولكنْ أرجوك ابقَ أمام أبوابك، وثابر على الطَّرق، فربما تستجيب لك أو تسقط من قوة ذراعيك.

***

2020/7/19

التغريد

ثمة عصفورٌ يُقدِّم وصلاتِ تغريد في روحه.

يأتي العصفور بين حين وآخر، وتغريداتُه فاتنةٌ.. فاتنة تجعله ينخطفُ إلى داخله، وينسى عالمَهُ الخارجيّ!

حين يفاجئه التغريد قد يتوقف عن الكلام، والأكل والنظر إلى الآخرين! إذا كان في الطريق قد يتوقف عن المشي، ويجلس على حافة الرصيف!

زوجته صارت تهزأ به، ومَنْ حوله يهزؤون. أمَّا العصفور فيقول: أنت مستمعٌ جيد، انتظر المزيدَ من ألحاني.

***

جسمٌ ناقص

في قلب عفاف نهرٌ من وجع رغم أنوثتها اللافتة، وجمالها الذي لم يهرم بعد!

لقد طارت ساقاها بسبب الحرب في سورية! وفي مكانهما ركَّبتْ ساقين اصطناعيتين، لكنَّ هناك سؤالاً يؤرِّق جفنيها:

- ماذا حلَّ بساقيها المقطوعتين؟ لقد عاشرَتْهما ثلاثين سنة، والإنسان يسأل عن عِشرة ساعة. فكيف يمكن أن تنساهما؟!

كانت في السوق منذ بضعة أشهر عندما نزل صاروخ من السماء، تفحَّمتْ جثث، وتمزَّقتْ أخرى! أمَّا هي فاستأصلت شظيةٌ كبيرة ساقيها من عند الركبتين!

بعد أن شُفيتْ ذهبتْ إلى مكان الحادثة، كان السوق قد تمَّ إصلاحها كيفما اتفق، نظرتْ إلى الوجوه وفي عينيها سؤال:

- هل أحدٌ منكم رأى ساقيّ؟

لكنَّ أحداً لم يجب على سؤالها، وربما لم ينتبه إليه! ذهبتْ إلى المشتغلين بالإسعاف، وفي عينيها نفس السؤال:

- هل أحدٌ منكم رأى ساقيّ. هؤلاء يتغيرون، ويموت منهم الكثير أثناءَ إنقاذ الجرحى،

فلم يجبها أيضاً أحد على سؤالها! الطيور، القطط، الهواء، أشعةُ الشمس، سألتْ كلَّ هؤلاء، وسؤالها لم يظفر بغير جرعةٍ من اليأس! ورغمَ كل شيء لم تستطع أن تقبل فكرةَ موتهما، فحين تستحمُّ تدَّخر لهما شيئاً من الماء والصابون، وحين تشتري قماشةً تحسب حسابَهما، وحين تُقلِّم أظافرَ يديها تجد نفسها تنحني لتقِّلمَ أظافرهما!

البارحة تطوَّرت مشكلتها، فقد جاءتها الساقان في النوم، قالتا لها:

- يجبُ أن تبحثي عنا.. يجب أن يكون لنا قبر لتزورينا.

رباه.. ماذا تفعل؟ مَنْ يدلُّها على مكان ساقيها؟ ومَنْ يهتم بهما؟ لقد قُتِلَ الآلاف، واختفت أجسامٌ بكاملها! وتساقطت أسماءُ أصحابها كورق الخريف! الوطن كلُّه يُحتَضر بناسه وترابه، وقريباً سيعلِّقون نعيَهُ على الحيطان، وقد لا يجدون حائطاً لتعليق نعوته! آه من سيفكر في هذا البازار الكبير للموت بساقَيْ عفاف؟ ربما اختلطا بغيرهما من الأشلاء المقطوعة، ربما طارا جانباً، وظفرتْ بهما الحيواناتُ الشاردة، ربما تفتتا، ثم استُعمِلا مع الرمل في إعادة رصف طريق حفرته قنابل الطائرات، والناس الآن يمرون فوق ساقيها! ربما.. ربما.

أخيراً.. خطرت لها فكرةٌ غريبة هداها إليها ألمها، ذهبتْ إلى كومة تراب قريبة من السوق، وملأت كيساً منها، قالت لنفسها:

- ربما جمعوا هذه الكومة بعد الحادثة، ولعل شيئاً من ساقيَّ بقيَ فيها،

بعد ذلك أفرغت الكيس في قبر، سمَّته: ضريحَ الساقين المقطوعتين، وها هي كلَّما أُتيحتْ لها الفرصة ذهبتْ لتزور نصفَها الميت، وتقرأ له الفاتحة!

***

2020/7/22

ذيل مدلّل

في عصر من العصور عاش شعبٌ غبيّ! كثرت ضحكاتُ الناس منه، فهو لا يعمل أيَّ شيء!

ذاتَ يوم نبتَ للشعب شيءٌ طويل في مؤخرته، فقال سعيداً:

- هذا خُرطوم.. خُرطومٌ رائع! هديةٌ من المولى، وفي وسعي الآن أن أبول من الخلف والأمام.

لكنَّ الشعبَ اكتشف أنَّ الشيءَ النابت هو ذيل، ووجد يديه تسرحان فوق ملوسة أوباره، ولمَّا جاءته من جديد سخريةُ الساخرين بأنه كسول دون عمل صاح:

- ذيلي يُكذِّبكم. اسألوه.. إنني طوالَ الوقت، ألعبُ به، وأرعاه، وبفضل رعايتي يزيد طولاً كلَّ يوم!

مع مرور الوقت نما الذيل كثيراً، وتضاءل الشعب حتى صار كأنه ذيلٌ لذيله!

***

2021/10/28

قصائد مسروقة

سألته حبيبته مندهشةً من إبداعه:

- من أين تأتي بهذه القصائد الحلوة؟!

تظاهرَ بأنه يعترفُ بذنب:

- أ..أ.. أسرقها من ديوانٍ رائع، لكنه غيرُ مكتوب على الورق!

صار وجه الحبيبة كعلامة استفهام:

- أيُّ ديوان؟!

برأس سبابته أشار إلى عينيها العسليتين الفائرتين بالمعاني.

سَحَرها قوله، همستْ بعذوبة: كذَّاب.

ردَّ مع ضحكة: هل آتيكِ بالمرآة لترَيْ بنفسك؟ هاهنا تحت بؤبؤ العين اليمنى بيتُ شِعر! وحول بؤبؤ اليسرى قصيدةٌ كاملة! وفوقَ الحاجبين تفعيلاتٌ تتحرك كالعصافير!

تحوَّلتِ الحبيبةُ إلى كوثرٍ يقفُ على قدمين، أمَّا هو فأسرع نحو النهر ليغترفَ الماءَ بكلتا يديه!

***

2020/7/25

المملكةُ العظمى

في مملكةِ الحيوان العظمى في زمنٍ ما، كان الحيوان سيداً، والإنسانُ في خدمته! ولكل حيوان إنسانٌ يركبه، ويسميه: مَطيَّة!

ترعى المطايا البشرية العشب، وتنام في الإسطبلات، بينما تنام الحيواناتُ في البيوت على فرشاتٍ من الصوف! بل هناك طبقةٌ ثرية منها كانت تسكن في القصور، وتغفو على أسرَّة فاخرة!

وذاتَ يوم تطوَّرت الصناعة عند حيوانات تلك المملكة، فاخترع هؤلاء السيارة، وصاروا يركبونها بدلَ الإنسان!

ثمَّ وقعت في أحد الأيام مصادفةٌ مدهشة، بل مدهشةٌ جداً: ماتت امرأةٌ شابة مربربةُ اللحم، فخطر لحيوان أن يتذوَّقها، فوجد لحمها شهياً أطيبَ من البقول التي تعتمد عليها الحيواناتُ المذكورة في طعامها!

تحدَّث ذلك الحيوان إلى بني جنسه عن هذا الطعام الشهيّ الجديد، فسنَّ كلٌّ منهم أسنانَهُ، وهمَّ بأكل الإنسان الموجود في حظيرته، ولا سيما أنه لم يعد يستعمله للركوب بعد اختراع السيارة، غيرَ أنَّ ملك الحيوانات الكبير صاح بهم: مهلاً. هذه وحشية، بربرية. شيءٌ فظيع لا يجوز، ولا أوافقُ عليه. لكي نذبح الإنسان، ونأكلَهُ يجبُ أن نخترع لذلك

سبباً.. سبباً وجيهاً يُقنع حتى الإنسانَ نفسَهُ بأن يقدّم رقبتَه لسكاكيننا.

سأله أحد الحيوانات: سبب؟! مثلُ ماذا؟

وقال آخر: فكرةٌ ممتازة، ولكنْ لا أظن أننا يمكن أن نجد أيَّ سبب لهذا الأمر الخطير؟

لمسَ ملكُ الحيوانات التاجَ على رأسه، ثمَّ قال: فكروا.. فكروا.

بعد مدة وجد هؤلاء أفضلَ سبب، قالوا: إنَّ إله الغيم الذي يؤمنون به يومئذ أحلَّ لهم ذلك، وهم سيأكلون الإنسان تنفيذاً لأوامره!

فرحت جمهرةُ الحيوانات بهذا التبرير الرائع، ولم يلبثوا أن صدَّقوا بسرعة أنَّ إله الغيم حقاً هو من شَرَع لهم ذلك، لكنَّ هناك أمراً مزعجاً فاجأهم، ونغّص عليهم فرحتَهم. إنه رسالةُ اعتراض بعث بها مؤرّخ الحيوانات الفيلسوف إلى ملكهم، وبدأها بكلامٍ مرعب مؤثر: (ما رأيك يا مولاي إذا وجدتَ نفسك في طنجرة؟! ورأيتَ وزيرك مضموماً في سيخ ليُشوى على النار؟! هذا ما يحدث في بلادٍ بعيدةٍ عن مملكتنا، اسمها: بلاد الشهوات، وقد قرأتُ عنه. البشر في تلك البلاد هم السادة، والحيوانات في خدمتهم. إنهم يأكلون بني جنسنا هناك، وهو أمرٌ فظيع يجبُ أن لا نفعله هنا، فالدمُ سواءٌ كان في جسم الحيوان أو الإنسان هو رمز الحياة، ولا يجوز إراقتُه أبداً).

تأثر الملك كثيراً، فأمرَ بإيقاف الطعام الجديد، لكنَّ أصواتاً تسرَّبتْ إلى أذنه في الأيام التالية بأنَّ المؤرخ ربما يسوقُ أخباراً غيرَ دقيقة، أو مدسوسة أو رآها في منامه. تدريجياً بدأ الملك بالتراخي، ثمَّ صدَّقَ المشككين، ولا سيما أنه ذاق مرةً وجبة لذيذةً جداً لا تُنسى من اللحم البشري، وتاقت معدتُه لذلك الطعام أعظمَ توق، وهكذا.. بدأ ذبحُ البشر لديهم، وأخذت الظاهرة في الازدياد نهاراً بعد آخر! كانوا يقودون الإنسانَ للذبح في المملكة العظمى، وهم يتمتمون ببعض الكلمات التعبديَّة، وكذلك كانوا يقودون الحيوانَ للهدف نفسه في بلاد الشهوات، وكانت نظراتُ الفزع هنا وهناك تملأ عيونَ المقادين للذبح، وتظهر في تلك العيون كلماتٌ مؤثرة يتحاشى الناظرون قراءتَها أو يقرؤنها، ولا يبالون بها مثل:

* جعلنا الله سُمَّاً في بطونكم.

* أيها السفلة.

* أيها القتلة.

* جربتُم طعمَ لحومنا، لكنكم لم تجربوا طعمَ السكين على رقابنا.

وإذا كانت المذبوحة أنثى ذاتَ أولاد قالت بعيونها:

* تذبحون الأمهات!

وإذا كان المذبوح أباً قال:

* تذبحون الآباء!

وإذا كان المذبوح طفلاً لحيوان أو إنسان قال:

* لم أشبع بعدُ من الدنيا. دعوني أودّع أمي، لكنهم لا يسمحون له بأيّ وداع، فسكاكينُهم مستعجلة، وبطونُ الآكلين التي تضخَّمت كثيراً عند الطرفين تنتظرُ.. تنتظر!

***

2020/7/31

رجلٌ بلا أحلام

عندما يتحدث نادر عن قلبه بأنه جرةٌ فارغة بلا أحلام لا أحدَ يصدِّقه! وبعضهم يُعلِّق: كيف ذلك؟! الأحلامُ جزءٌ من القلوب كما أنَّ الورق الأخضر جزءٌ من أغصان الشجر.

وقد قال قائل آخر: حتى العصافير تحلم، والنملُ، والفراشات، بل إنَّ للحجارة أحلامَها، فإذا كانت حجارةً عادية تحلم أن تصبح حائطاً في بناء جميل، وإذا كانت من حجارة الآثار فهي تحلم أن لا يسرقها تجَّار الآثار والمتعاونون معهم من أهل السلطة!

لا يجيب نادر على الأقوال المنثورة حوله، لكنه يكتفي بنظرة مريرة، ثمَّ يَغلُّ في داخله، ويفكّر فيما جرى لأحلامه.

قبلَ مجيئه إلى بلد اللجوء بسبب الحرب التي نشبتْ في بلده كان عنده الكثير من هذا الشيء الجميل الذي يملأ الروح، ويسمونه: الحلم، وإذا كان للناس حلمٌ واحد أو حلمان، فقد كان لديه يومئذ عشرةُ أحلام بالتمام والكمال، ماعدا أحلاماً جديدةً قادمة على الطريق! من أحلامه مثلاً أن يصبح كاتباً كبيراً، يستطيع من خلال أدبه أن يؤثر في الرؤوس المتخلفة في بلاده، ومن أحلامه أن يحبَّ فتاةً جميلةً طويلةَ الشَّعر، وحين يجلسان متلاصقين تُرخي شَعرها كمظلة على كليهما، وتحت شَعرها المندَّى بالعطر يلتقط

شفتها ليحرقها بجمرة أشواقه! ومن أحلامه أن يشتري بيتاً له حديقة، وفيه سيربي مع أطفاله أرنباً وخروفاً، ولن يذبحهما مهما كبرا. سيسمح لهما أن يذوقا شيخوخةَ الأرانب والخراف التي لا يعرفها أيٌّ من هذين الجنسين بسبب نهم الإنسان، ومسارعته إلى ذبح هذه الكائنات باكراً، بل إنه سيمسح لأرنبه وخروفه باستعمال العكّاز، والنظّارة المكبّرة.

ولأنه يحبُّ أحلامه كثيراً كان يُخرجها من رأسه، فيدغدغها، ويلاعبها كما يفعل أبٌ مع أطفاله، وذاتَ مساء جرى مالم يكن في الحسبان! كانت الأحلامُ كلُّها خارجَ رأسه في غرفته، وقد غادر الغرفة إلى الحمّام ليقضي حاجة، في تلك اللحظة مرَّت طائرةٌ من طائرات الحرب، وقصفت البناءَ المجاور لبيته، مع القصف تهشَّمتْ غرفته، وتناثر الزجاج، وأصابت شظايا الصواريخ أحلامَه إصاباتٍ بالغة! حين دخل إلى الغرفة وجد حلماً مقطوعَ الرأس! وثانياً مبقورَ البطن! وثالثاً نازفَ الرقبة مقلوعَ العينين، ووو!

أسرعَ محاولاً مساعدةَ الجرحى من تلك الأحلام، فاكتشف فجأةً أنه مصابٌ هو الآخر! وليس في بيتهم قطن أو مواد طبية بسبب أزمات الحرب! تلفَّتَ عندئذ، أجال النظرَ فيما حوله، ثمَّ اندفع إلى الستارة فمزَّقها، وبقطعٍ منها ضمَّد نفسه، وضمَّد بعضَ أحلامه، لكنه وجدها تشحب، ترتعش، ثمَّ تفارق الحياة واحداً بعد آخر!

تركها في الغرفة، وذهب ليحفر لها قبراً، فمن حق الميت دَفْنُه والإسراعُ بذلك، لكنَّ طائرةً أخرى جاءت، وقصفت الغرفة بشكل مباشر هذه المرة! وحين عاد وجد المكانَ كومةَ تراب، غرس يديه في التراب نبشَ ونبش، غيرَ أنه لم يعثر في الكومة ولو على جثةٍ واحدة من جثث هاتيك الأحلام!

***

2020/8/1

الأدعيةُ الطَّائرة

لدى رؤوم قدرةٌ عجيبة.. قدرةٌ خارقة، خلاصتُها أنه حين ينظر إلى السماء يرى أشرطةً ملونةً شفافة هي أسرابُ الأدعية التي خرجت من الأفواه والصدور، واتجهتْ إلى سيد الكون! يتابع رؤوم الأدعيةَ بعينيه غيرِ العاديتين، فيرى أنَّ لتلك الأدعية وجوهاً أو ما يشبه الوجوه، وفوقها يظهر رجاءٌ واضح أن تجد الطريقَ مفتوحاً لتتابع انطلاقها لمالك الكون.

فوجئ رؤوم بأنَّ الأدعية تعاني آلاماً لا تقل عن آلام أصحابها الذين أرسلوها إلى الأعلى لتخفف عنهم! فهي حين تتجاوز الغيم تصادف بوابةً ضيقة، أمامها ازدحامٌ هائل للأدعية، يجري هناك التدقيقُ في بعض الأمور، ويحدث أن تمنعها البوابةُ من المرور، فتبكي الأدعية، وتترجَّى، وتشرح ظروفَ أصحابها الذين بعثوها، فبعضهم سجينٌ في معتَقل سياسي منذ ثلاثين سنة! وبعضهم يعاني من سرطان القولون الفظيع، ولا يجد دواءً! وبعضهم لاجئ تحت خيمة بسبب الاضطهاد، ومع عواصف الشتاء طارت خيمته في الريح! وبعضهم اغتصب ستةُ جنود ابنتَه العذراء أمام عينيه! ووو!

عددٌ من الأدعية يعبر، فيطير فرحاً نحو الأعلى، وقسمٌ آخر يُرَد، الأدعيةُ المردودة يقع لها أمرٌ غريب أذهل رؤوماً،

وخطف قلبه، وهو أنها تتحوَّل إلى فراشاتٍ هائمة! تتنقل الفراشات في البراري والحقول كأنها تخجل أن تعود خائبةً إلى أصحابها أو تحلم بتحليق جديد إلى سيد الكون يحظى بشرف الوصول إلى أنواره.

***

2020/8/6

أصوات

قال العصفور: ما أجملَ الدنيا مع الربيع، والشمسِ الدافئة!

- لا.. لا (قال الثلج) بل ما أجملها مع البرد، والصقيعِ، وجنونِ العواصف!

قالت طبيبةُ التوليد: ما أجملَ الدنيا مع المواليد الكتاكيت! إنهم أقمارٌ صغيرة فوق الأسِرَّة.

- اخرسي (صاحت المقبرة) بهجةُ الدنيا لا تكون إلا مع كثرة الموت، ومهرجانِ التوابيت.

اهتزت أوتارُ العود غضباً من كلام المقبرة، ثمَّ هدأ، فقال: جمال الدنيا الأعظم حين تداعبُ أوتاري أناملُ رشيقة، فتهدأ الثلوج والعواصف، وتتحوَّل المقبرةُ إلى دوحةٍ وريفة، وتهبط الغيوم من السماء لتسمعَ وترقص.

أطلقَ العود بعد ذلك زخَّةً من أنغامه، فهطلت السعادةُ كحبَّات الندى فوق القلوب والأرواح!

***

2019/2/3

بيتُ الأغاني

في الجو سربٌ تائه من الأغاني يتلفَّتُ يمينةً ويَسرة!

لقد تعبَ السربُ من الطيران نهاراً، وليلاً، وهو يريد أن يحطَّ في مأوى، ليرتاح ويحظى بالطمأنينة والدفء.

المشكلةُ أنَّ الأغاني لا تستطيع كالبط أن تحطَّ على الأرض، ولا يمكنها كالعصافير أن تنزل على الأغصان. إنها لا تهبط إلا في قلب حسَّاسٍ دافئ حنون.. قلبٍ كأنه مخلوقٌ من ورق الورد أو خيوطِ النسيم.

بحثت الأغاني عن غايتها أولاً بين قلوب الأدباء المعروفين بالرهافة، لكنها- للأسف- عادت بخيبةٍ هائلة، فقد أصاب التلوثُ تلك القلوبَ النقيةَ الزرقاء، وغطَّتها كمياه بعضِ البحار بقعٌ رماديةٌ، وسود، وحمر! وصار ممكناً أن تقرأ على نقائها الفاتحة، وتودّعَهُ بخيط من الدمع!

سعت الأغاني- بعد ذلك- إلى قلوب النساء، وتحت صدورهن- كما يصف الواصفون- مخازنُ من الرهافة والألقِ الناعم، وينابيعِ العطاء، لكنْ جرى مالم يكن في الحسبان! راقبت الأغاني إحداهن من النافذة متوسِّمةً فيها الخير، جلست تلك السيدةُ أمام مرآتها، فغيَّرتْ مكياجَها للمرة الثانية والثالثة! بدَّلت ملابسَها مرتين! ثم اندفعتْ نحو زوجها النائم بعد الظهر إثرَ عودته من العمل، هزَّته

بخشونة، وهي تهتف: انهض وبدّل لي طقمَ الحَلَق الآن. عندي سهرة، وصديقاتي رأينني به عشراتِ المرات، ولما لم ينهض الزوج صاحت به من جديد: قم يا خَمول كفاك نوماً! ولما لم ينهض للمرة الثانية عادت إلى صياحها وهي تضرب الأرضَ بقدمها: إذا لم تفتح عينيك سأرشُّك بالماء أو أعضك. الحَلَق.. يعني الحَلَق.

امرأةٌ أخرى تابعتها الأغاني، كانت تبدو من الخارج ناعمةً جداً، فقالت لنفسها: هذه هي مَنْ نبحث عنها، لا بدَّ أنها هي، لكنَّ الرجاء سَرعان ما تبخَّر من نفوس الأغنيات، فقد اكتشفت أنَّ نعومتها مجرَّدُ ستارةٍ كاذبة، فهي تعمل مع قسم الاستخبارات، وقد سلَّمت لهم في ذلك اليوم عدداً من الشبان الثائرين ليتمَّ سوقهم إلى خلف القضبان، ثم تعذيبُ بعضهم، وإعدامُ بعضهم الآخر!

كانت صدمةُ الأغاني هائلةً بما رأته في أوساط الجنس اللطيف، خابت من بعضهن خيبةً كبيرةً جداً، فلم تتابع البحثَ بينهن.

لم تفكر الأغاني- بعد النساء- أن تبحث عن قلب حساس بين أهل السياسة، فهؤلاء طبيعةُ قلوبهم معروفة، ولا بين أهل التجارة الذين يتوضؤون ويصلّون أمام الدولار، ولا بين المحاربين المغرمين بالقتال والدم، ولا بين الصيادين الذين يقتلون الغزلانَ وأمهاتِ الطير. تركت كلَّ أولئك وأولئك، واتجهت- بعد الجنس اللطيف- إلى أرضِ النقاء

البكر، والياسمينِ النابت في الصدور إلى الملائكةِ الصغار.. إلى الأطفال. تفاءلت الأغاني كثيراً في البداية حينما اختارت هؤلاء، ومنَّت النفسَ بمأوى أجملَ من عش العصافير تجده عند واحد منهم، بل ربما تعثر على مآوٍ كثيرة تتنقّل بينها بترف وحبور، لكنها- بعد وقت قصير- صُدمت، وكانت صدمتُها هنا تفوق جميعَ صدماتها السابقة! فهؤلاء وصلت إليهم أو لأكثرهم يدُ التشويه في عصر العولمة، وضاعت بقيةُ الأنقياء منهم بين صفوف المنحرفين المسلوبينَ براءةَ الطفولة! معظمُ الأطفال- كما لاحظت الأغاني- تمَّ غسل أدمغتهم بالألعاب الألكترونية التي تُحبب العنف، وتنزع من النفوس غِراسَ الرحمة! بعضٌ آخر من الأطفال شوهت الحروبُ براعمَ قلوبهم، فراحوا يتعاطون الرذيلة، أو يمارسون اللصوصية على أقرب المقربين إليهم بسبب الحاجة ووحشيةِ الجوع!

فجأةً عثرت الأغاني على حاجتها! طفلٌ في الثانيةَ عشرةَ من العمر، عيناه تشعان بالحيوية كأنَّ في داخلهما مجرَّةَ نجوم! كان يعمل في مخبز ليساعد أمَّه بعد موت أبيه في الحرب التي نشبت في بلدهم! يدا الطفل كانتا بيضاوين كأنهما مخلوقتان من سحاب ناصع، وعذوبةُ روحه تغطّي كاملَ وجهه، وتصنع فوقه حديقةَ نقاء، فيبدو كأنه ملاكٌ أو مسيحٌ صغير.

نزلت الأغاني في قلب الطفل المذكور، فاستقبلها القلب بحفاوة، وظهرَ على محيَّا الصغير مزيدٌ من الجمال،

والحيوية، والنضارة حتى الأرغفةُ بين يديه لم تعد مجرَّدَ أرغفة. بدت كأنها أقمار تضحك!

كان أوَّلُ ما قالته الأغاني حين نزلت هناك: اللهم اجعل قلبَ هذا الطفل في صدور الجميع، ووزّع حنانَهُ على الدنيا مع العطر، وحبَّاتِ المطر.

***

2020/8/8

عندما صرتُ ثعلباً ذاتَ يوم

يتحدث أشرف عن قصة غريبة:

متُّ وأنا في الرابعةِ والخمسين من العمر، دفنوني في قبرٍ يقع في أرضٍ خصبة، بعد عدَّة سنوات تحلَّلتْ جثتي تراباً، خرجتْ من التراب بضعةُ أعشاب، مرَّت أرنبةٌ أكلتِ الأعشاب، فتحوَّلتْ في جسدها إلى خلايا، ثمَّ التهمتِ الأرنبةَ ثعلبةٌ عابرة، وعندما اختلى بهذه الأخيرة زوجها الثعلب في لقاءٍ حميم حبلتْ، ثمَّ ولدَتْني ثعلباً صغيراً في أحسن تقويم.

حين كبرتُ- ولأنني في حياتي البشريَّة كنتُ إنساناً أولاً، وشاعراً ثانياً- لاحظ الثعالب من حولي اختلافَ سلوكي، فأنا لا أحب الاحتيال، ولا افتراسَ الأرانب، كذلك لا أتسلل لأقنان الدجاج لاختطاف واحدةٍ منهن! لا أصلح أيضاً قدوةً لزعماء السياسة في العالم، حيث يخفي كلُّ واحد من هؤلاء ثعلباً في رأسه طويلَ الذيل!

تجنبتُ نظراتِ الثعالب المستنكرة لسلوكي، وكنتُ أكتفي بتناول بعضِ الحشائش، لكنهم لم يتركوني لحالي، وأول ما فعلوه حرماني من البطاقة الثعلبية! تلك البطاقة

تُمنَح للثعلب عندما يصير فتىً من دائرة نفوس الثعالب، فيأخذها ويربطها بسلسلة، ثمَّ يعلّقها في رقبته.

بعد ذلك قاموا بأمر آخر.. لاحقوني بتعليقاتهم الساخرة ليلَ نهار:

* كأنك قطةٌ لها شكلُ ثعلب!

* شوَّهتَ صورةَ الثعالب، وأضعتَ هيبتَهم!

ثمَّ يجسّني أحدهم ضاغطاً على جلدي، وهو يقول: هل أنت ثعلبٌ من لحم ودم أم تُراك ثعلبٌ محشوٌّ بالصوف؟!

وفوق هذا كلّه سخروا من أمي، وعيَّروها بأنها أنجبت بئسَ الثعالب!

حاولتُ مناقشتَهم، والتفاهمَ معهم، فقلت: إنّ صفاتِ الثعالب ليست حسنةً في الأصل ليكون الخروج عليها عيباً، وزيَّنتُ لهم بالمقابل صفاتِ البراءة والصدق بدلَ المخادعة، وأننا يمكن أن ننشئ مجتمعاً ثعلبياً جديداً لا يقل جمالاً عن مجتمع الحَمَام، فإذا ببركان جنونهم ينفجر في وجهي حتى كادوا أن يضربوني! بل إنَّ أحدهم اتهمني بأنني أحمل عصفوريةً في رأسي، فالأطفال في دنيا البشر هم مَنْ يعينهم الصدق والصفاء، وهما صفتان ضارتان بدليل أنَّ الأطفال يمكن العبثُ بهم بسهولة من خلالهما، بينما الاحتيال في دنيا الثعالب نموٌّ وازدهار، والمستقبلُ له.

عندما وصلتْ حملتُهم عليَّ إلى حد لا يطاق غلبني الحزن، رحتُ وجئت، ثم قلتُ لنفسي: لا بدَّ من مواجهتهم. كيف؟ هؤلاء لا يقتنعون إلا بالاحتيالات الثعلبية التي تُغيّر مجرى الأحداث في واقعةٍ ما من مصلحة صاحبها لمصلحة الثعلب، فقمتُ بعدَّة عمليات من هذا النوع مستعيناً بأمرين: ذكائي القديم الذي ورثتُه من حالتي البشرية، وذكائي الجديد الذي جاءني من حالتي الثعلبية، وكان راكداً أو معطَّلاً لا أعمل به.

كان هدفي أن أثبتَ لهم جدارتي ليرهبوني، ثم أعودَ لصومعة براءتي وطهري، لكن الوقائع اختارت لنفسها اتجاهاً آخر.. فعملياتي الاحتيالية أو السوبر احتيالية حققت نجاحاً باهراً، فأعجبتُ أنا بنفسي، وأعجب بي الثعالب أيما إعجاب حتى إنهم سحبوا جميعَ سخرياتهم السابقة، واعتذروا مني! وجعلوني فوق ذلك مستشاراً لهم في مجلس شيوخ الثعالب، وعضواً في برلمانهم أيضاً.

في هذه اللحظة التي أروي فيها قصتي أنا متجه إلى التكريم، تتأبط ذراعي ثعلبةٌ عاشقة، وقد أشعلتْ لي بقداحتها سيجاراً فخماً رحتُ وأنا أشربه أرتفع مع دخانه إلى ما فوق السحاب، وفضلاً عن ذلك غمزت الثعلبةُ بعينها ضاربةً لي بتلك الحركة اللطيفة الذكية موعدَ غرام! إنني الآن أمشي بجانبها وأنا حائر، فلم أعد أدرك حقيقتي.. هل أنا

إنسان صار ثعلباً وهو يكره ذلك؟ أم أنا ثعلب سعيد بكيانه الجديد، وقد بات يكره أصله البشري بما فيه من طهر ونقاوةِ قلب؟

***

2020/8/10

كائنٌ أحبُّه

صادقتُ حجراً ذاتَ يوم، كنتُ في شيخوختي أجلس عليه في مشاوير المساء.

شعرتُ بأنَّ الحجر يرحّب بي، ويرتاح إليَّ كما أرتاح إليه، ثمَّ صرتُ أشعر بلهفة للخروج حتى ألقاه! ثم صرتُ أحسُّ بأنه يحدّثني، وأنا جالسٌ من فوقه:

- كيف حالك أيها الشيخ الكبير؟

أردُّ عليه: أنا بخير، وأصير بخير أكثر حينما ألتقي بك.

ومرةً تطوَّر الحديث بيننا، فأخبرني عن ماضيه:

- أصلي شظيةٌ انطلقتْ من فُوَّهة البركان في ذلك الجبل الذي تراه. كنتُ صخراً سائلاً، فطرتُ في الهواء، وعندما نزلتُ هنا تجمَّدتُ. أنتَ تشكو شيخوختك يا صديقي، وأنا أشكو وحدتي.

بعد ذلك حدثَ ما هو أطرفُ وأحلى! جرت بيننا مراسلاتٌ كما يجري بين العشاق، فقد مرضتُ في الخريف الأخير عدَّةَ أيام، ولم أذهب إليه، فإذا بعصفور يقف على نافذتي، ويقول: صديقك قَلِقٌ عليك.

قلتُ للعصفور: سآتيه غداً: إنني مشتاقٌ إليه.

اليوم ذهبتُ إلى لقياه، فكانت مفاجأةٌ قاسية.. مفاجأةٌ فظيعة، بدأت البلدية بفتح طريقٍ جديد، فمدَّت الجرافةُ

أصابعها الصلبة إلى صديقي، واقتلعته من موضعه! حين وصلتُ إلى المكان فتشتُ زائغَ العين، فلم أعثر عليه! أعدتُ التفتيشَ مراتٍ ومرات بالنظر، فلم أسعد برؤيته! عدتُ مجروحاً منكسراً، وفي خاطري وردةٌ سقطت أوراقها.

***

2020/8/11

المسافرون

نادتهم الجهات، فمضَوْا إليها، أحلامُهم في حقائبهم..

أحمد الذي يكتب الشِّعر سافر إلى جزيرة القصائد.

الجنينُ انزلق من مشيمته مسافراً إلى الدنيا.

خليل عاشقُ الثروة سافر إلى كندا.

سلوى اتجهت إلى حبيبها في أمستردام بهولندا حيث افتتح شركةً تجارية، وافتتح في قلبه شركةَ محبةٍ خاصةً بهما.

العاهرة ليلى تركت صنعتَها، وسافرت إلى صنعة عرض الأزياء، فقوامها المتناسق صالحٌ لعرض الملابس.

عمران حمل بقايا إنسانيته وسافر مرتاعاً من مخلب الاستبداد في وطنه.

حكامٌ عرب سافروا من الكرامة إلى العمالة ملتمسين عند نجمةِ داوود دعماً لكراسيهم!

القط أنيس حمل حزنه، وسافر إلى المجهول بعد موت العجوز التي كانت ترعاه!

ماذا جرى لهؤلاء؟ اسألوا الجهات، فهي تحتفظ بملفَّاتهم، وربما قذفتها لأصابع الريح!

***

2020/8/17

المشنقة

قال حازم للمجرم الذي يقف أمامه:

- هيّا. حان الوقت.

كانت المشنقةُ جاهزةً أعدَّها بعناية، فالمجرم الذي سيُنفَّذ فيه الحكم ضخمُ الجثة جداً، وله عنقٌ غليظ كجذع شجرة!

ذلك المجرم الطويل العريض، اسمه: التاريخ. نظر التاريخ في وجه حازم، قال برجاء: حرامٌ عليك. أنا مظلوم.

- بل أنتَ ظالمٌ، قاسٍ، طاغية، وقد حاكمتُك بعدالة قبل قليل.

في عقل حازم دارَ شريطُ المحاكمة ببطء، وقد كان يقوم فيها بدور القاضي، كان غاضباً، فصاح في قاعتها بالمتهم: أنتَ عبءٌ على الجميع، تركب بحكاياتك المزيفة فوقَ أكتاف الكل. كنتُ أسير في الشوارع وأنا شاب، فأشعر بثقل قدميّ، لم أكن أعلم أني أحملك حتى اكتشفتُ الأمر. نحن يا سيّد نحمل الأطفال على ظهورنا، ووزنُ الواحد من هؤلاء لا يزيد على بضعة كيلو غرامات. أمَّا أنت فلك وزنُ شاحنة والعياذ بالله! ومع ذلك تدلل نفسك، وتركب تارةً على أكتافنا، وتارةً على ظهورنا! لقد حوَّلتَ الناسَ من بشر إلى عتَّالين! لا سامحك الله، ولا بارك فيك.

قال محامي الدفاع: التاريخ هو أمسنا الجميل، هو حكاياتٌ مزهرة تدلَّتْ كالضفائر على أكتاف البطولة والمجد، وعلينا بدلَ اتهامه أن نتوضأ لنقبّل ظهرَ يده.

كان الضجيجُ خارجَ قاعة المحكمة عالياً، وثمَّة أصواتٌ تصل كأنها قادمةٌ من صدر بركان:

* كيف تحاكم التاريخ أيها القاضي؟!

* ما تقومون به عيبٌ فوقَ العيب، وعارٌ فوقَ العار!

* افتحوا لنا الباب لنحطم المحكمة بما فيها فوق رؤوسكم.

قال حازم رداً على محامي الدفاع، وجبّةُ القضاء المهيبة فوق كتفيه:

- مهلاً أنا لا أحاسب هذا المتهم على أحداث الماضي بما فيها من ورد وشوك، فالأول موجود، والثاني موجود أيضاً، وإنْ كان الثاني أكثرَ بكثير، هو- على كل حال- ليس مَصدراً لهذا أو ذاك، إنما غضبي منه بسبب طريقة روايته للحوادث. لطالما غضَّ الطرفَ عن أمور حساسة كثيرة! لطالما صغَّرَ بعضَ الأمور الكبيرة الهامة، وكبَّرَ- بالمقابل- بعضَ الأمور الصغيرة الهامشية! أو روى لنا الوقائعَ بطريقة خلط الأوراق أو كان يتكلم وكأنَّ جهازه التنفسي مصابٌ بمرض الكريب الشتوي، فنكاد لا نفهم عنه ما يقول!

ثمَّ خرج من مكانه، ووقف مباشرةً أمام قفص المتهم موجهاً كلامَه إليه:

- أنت تشبه مسيلمةَ الكذَّاب كأنك شقيقه! حملتَ طبلاً وزمراً، ورحتَ تتحدث عن الملوك، والفراعنة، والأمراء، والأثرياء، وقادةِ الجيوش! هل الحقيقةُ عند هؤلاء؟! لم تنقل إلينا آهاتِ النساء والرجال الذين يعملون في الحقول تحتَ الشمس الحارقة لحصاد القمح، لم تصف لنا تشققَ أيدي المشتغلين بالحجارة والحدادة! لم ترسم لنا صورةً للأحلام المقموعة في قلوب آلافِ الآلاف من البشر، لم تصارحنا بحقيقة أنهار الدم التي سالت باسم المقدَّس! كنتُ تدافع عن أدعياء الطهر، وتبرر إفناءَ الطاهرين الحقيقيين، ورغمَ أكاذيبك تريدنا أن نصدّقَك، ونحملَك فوق كواهلنا يا حقير، يا وضيع، يا زنيم!

في النهاية حكمَ القاضي بالموت على المتهم، وها هو يريد- إضافةً لذلك- أن يقوم بدور الجلاد أيضاً، فينفّذ فيه الحكم! لهذا قال له: لا تحاول أن تؤثر في عواطفي، فمثلك لا يستحقُّ الشفقة. لو أمكنني أن أشنقك عدَّةَ مرات لفعلت!

ثمَّ نفَّذ فيه الحكمَ، فشعرَ بالراحة، وتنهَّد، فجأةً حدثَ أمرٌ في غاية الغرابة! صحا المحكوم من موته، فكَّ الحبلَ عن رقبته، واتجه راكضاً إلى الممر المتصل بغرفة الشنق، وعَبَرَ بعده إلى الشارع، نادى أنصاره الذين كتبوه، والذين يحبُّونه، فجاؤوا بعيونٍ من نار يريدون شنقَ القاضي، بينما أسرع الأخير، فنادى أنصارَهُ أيضاً، واشتبك الفريقان في عراكٍ شديد، ضربوا بعضَهم خلاله بالأيدي، والعصيّ،

والحجارة! لم يتوقف العراك حتى الآن، وبينما أنا أكتب هذه القصة سقطت قطعةُ حجرٍ قريباً مني!

***

2020/8/11

ينبوعُ الأنوار

بعد صيفٍ من الحنين، وشتاءٍ من الدمع وجد نفسَهُ عند ينبوع الأنوار يبكي، ويشرح حاله للحضرة العظمى:

- إنني مشتاقٌ لأعزائي من الموتى. أريد أن أراهم، لم أعد أحتمل فراقَهم.

جاءَهُ صوتٌ ألطفُ من الأنسام:

- اذهبْ تخفف من كثافتك ليصبح الأمر ممكناً.

ما الذي يعنيه الصوت؟ لم يفهم في البداية.

قال له كتابٌ قديم: توضأ بماء الورد وضوءاً داخلياً كلَّ يوم مرتين، لا تبقَ طوالَ الوقت داخلَ جسمك. أرح بصرك، واستعمل بصيرتك.

لم يُصدِّق ما جرى بعد ذلك! صاروا يُطلُّون عليه عبرَ نافذةٍ قمرية! يراهم ويرونه، يتحدث إليهم، ويتحدثون إليه! أمَّا النافذةُ فتظهر لعينيه فجأةً.. تجذبه إليها، فلا يعرف كيف ظهرتْ، ولا أين مكانُها!

***

2020/9/7

جرحٌ في الوجه

طردَ السيد الأرعن خادمَهُ لسبب تافه، وقبل طردِهِ هجمَ عليه بمفتاح صغير في يده، فترك جرحاً في خده!

جلس الخادم تحت سور البيت لا يدري أين يذهب؟ بينما الجرحُ العميق في قلبه يرنو إلى جرح الخد، ويقول: أنتَ لا شيءَ بالنسبة لي.

بعد قليل تشاجر السيد مع زوجته، وخرج غاضباً. أثناءَ خروجه من باب المنزل تعثر، وهوى على الأرض! فوجئ بالخادم يسرع إليه، ويساعده على النهوض وفوقَ ملامحه علاماتُ الرحمة! سَرَتْ زلزلةٌ في قلب السيد، وتمتم:

- كان الأجدر أن تشمتَ بي، فأنا طردتُك قبل قليل، وأثر ضربتي مازال في وجهك.

قال الخادم: غضبي منك مازال كبيراً، ومن المحال أن أعود إلى بيتك، لكنَّ إنساناً سقط أمامي، ولا يمكن أن أقف متفرجاً.

غادر الخادم والسيد يتابعه بدموعه، وفي قلبه تتردد هذه العبارة: أيها الكنز الجميل. أنا في الحقيقة غير جدير بك.

***

2021/1/21

ثلاثةُ جدران

يخاف عبد الوهاب خوفاً شديداً من جهاز العَواينية الذي تضخَّمَ جداً في بلده! وكثيراً ما يتمتم وهو في الطريق ذاهباً إلى المدرسة أو عائداً منها:

- اللهم.. احمنا منهم.

قلبُ عبد الوهاب من الداخل حُفرتْ على عضلته عشراتُ القصص لما قام، ويقوم به العَواينية كلَّ يوم! ومع الأدعية والخوف العظيم كان الرجل شديدَ الحذر يراقبُ حركاتِهِ وسكناتِه، ويضبط كلماتِهِ ضبطاً محكَماً وازناً إياها بالقسطاس المستقيم كي لا يُفلتَ منه أيُّ حرفٍ قابلٍ للتفسير السيء، وهكذا.. مع مرور الأيام صار كأنه عينٌ على نفسه!

في غرفة المدرسين التي يدخلها بعد الحصص جاءَهُ يوماً زميله صلاح مدرِّس اللغة الإنكليزية، انتحى به جانباً، وهمس:

- عندي لك بشارة يا أستاذ اللغة العربية.

- هاتِها.

- اقترحتُ اسمَك مدرِّساً خصوصياً لابن السيد فارس غضبان.

ما كان عبد الوهاب يسمع الاسمَ الرهيب حتى زُلزلتِ الأرضُ زلزالَها في صدره! فالسيد فارس هو رئيس جهاز

العَواينية في مدينته، لو ذُكِرَ اسمُه أمام إبليس لأسرع فوراً بإعلان التوبة أو ولَّى الأدبار إلى خارج العالم!

تمتمَ بعد بلعِ ريقه:

- شكراً، لكنَّ مشاغلي كثيرة هذه الأيام، وليس عندي وقت لهذا الأمر.

لم يستطع أن يعلن اشمئزازَهُ من هذه المهمة، ومن فارس غضبان وابنه، فربما تسرَّبَ ذلك إلى السيد الرهيب من خلال الأستاذ صلاح، فمن الواضح أنَّ صلاح على صلة قوية به.

نظر إليه صلاح مستنكراً قائلاً من فوق شفته الممطوطة:

- مشاغل؟! أيةُ مشاغل! هذه فرصة هائلة يا عبد الوهاب لتتقرب من صاحب المقام الكبير في مدينتنا. أتعي ذلك أم لا تعي؟ أنا لولا غلاوتك عندي كنتُ اقترحتُ اسماً آخر.

- لعنة الله عليك، وعلى غلاوتي عندك يا صلاح! (هكذا همسَ في أعماق صدره، وهو يخشى أن يصل صوته الداخلي إلى أذن محدِّثه!)

وجد عبد الوهاب نفسه أمام جدار لا يستطيع أن يخترقه، ولا بدَّ أن ينكسر أمامه، وهو قبول المهمة التي يراها بينه وبين نفسه قذرة! وبعد إعلانه للموافقة طالعَهُ جدار آخر انكسر أمامه أيضاً، وهو أن يذهب إلى ابن السيد فارس

في بيته بدلاً من أن يأتيه الطالب المذكور في منزله! وأن يكون توقيت الدروس حسب مزاج الفتى لا حسب مزاجه هو!

بدأ عبد الوهاب الحصص مع جمال أو جملو ابن السيد فارس، وفي إحدى الحصص الخصوصية في بيتهم قبيل امتحانات البكالوريا جرى أمرٌ لم يكن في الحسبان، قال جمال:

- أستاذ.. عندي بضعة أسئلة.

- لغوية؟

- تقريباً.

- كتبتَها على ورقة؟

- نعم.

- أين الورقة؟

ضحك، وأشار إلى رأسه:

- هنا.

وبدأ يحكي بطلاقة غريبة على طالبٍ كسولٍ مثله:

- أنتَ تعرف أستاذ أن الطالب يتعب طول السنة ليضع في يده شهادة.

- أي نعم يا ابني. بارك الله فيك.

- وهذا الأمر لا يجوز أن يُترَكَ للحظ.

- بالضبط.

توقف لحظة، وانطلق بصوت أقوى:

- والبابا يده تطول كما تعلم، يستطيع أن يختار لي المدرسة المناسبة في فحص البكالوريا والمراقبين. فقط نرجو منك أن تساعدنا في هذا الاختيار.

اضطرب عبد الوهاب كبركة ماء سقط فيها سطلُ تراب! كان دائماً يردد في داخل رأسه: (العدوان على التعليم خطيرٌ كالعدوان على الحدود، بل هو أخطر)، ولكنْ.. بماذا يجيب الآن؟!

صرَّ الباب، فإذا السيد فارس يدخل بنفسه! ابتسامته كزينة امرأة تتقن فنَّ المكياج، صافح المدرّسَ، وجلس يكمل حديث ابنه، وكأنَّ بينهما اتفاقاً:

- والمراقبون.. آخ علة مزمنة هذه الأيام يا أستاذ! إنهم يربكون الطلبة المساكين بنظراتهم وحركاتهم، فتطير الإجاباتُ من رؤوسهم! المهم ثقتنا بك كبيرة، وقد اخترتُك يا أستاذنا الكريم رئيسَ مركز في المدرسة التي سيقدّم فيها تيسير امتحانه.

أحسَّ عبد الوهاب بجدار ثالث يرتفع أمامه أعلى من الجدارين السابقين اللذين عانى منهما، تمتم بارتباك شديد:

- أنا؟! اعذرني.

ردَّ عليه السيد فارس بحزم:

- باسم المحبة لن أقبلَ منك أيَّ عذر. قرار التعيين في حكم الجاهز. كل المسألة نريد جواً هادئاً لجمال تلميذك،

ونحن لا ننسى مَنْ يخدمنا، ونزعل والله نزعل ممن لا يمدُّ إلينا يده.

خرج عبد الوهاب، لا يدري كيف! وفوق وسادته انعقدت المحكمة في رأسه، كانت جلسةً مشوشة، صرخ فيها مرات:

(العدوان على التعليم خطيرٌ كالعدوان على الحدود، بل هو أخطر!)

(التعليم.. الحدود.. الخطر!)

إنه يعي ما يريده منه السيد فارس! فيندهش، ويسأل نفسه: أمن المعقول أن تقوم أنت بذلك؟! نزلت الجدرانُ الثلاثة في وجهه دفعةً واحدة، فهاجمها، وبصق عليها صائحاً: أنا عبد الوهاب، ولستُ شرَّابةَ خرج! لن أذهب إلى جمال في بيته بعد الآن، ولن أعطيه أيَّ درس، وسأرفض رئاسة المركز! لكنَّ الجدران قهقهت، وهتفت به: أنسيتَ من يكون السيد فارس؟! ألا تدرك معنى قوله: نزعل والله نزعل ممن لا يمدُّ إلينا يده؟!

شعرَ عبد الرهاب بألم عظيم في جبهته، وتذكَّرَ موطنَهُ اللطيف الدافئ الذي كان يعيش فيه بارتياح قبل أن يخرج إلى الدنيا.. يا له من موطنٍ آمن لا يهدده فيه أحد، هو: بطنُ أمه حيث لا جمال ولا أبوه، ولا جهاز العَواينية المرعب، فتمنى أن يعودَ لذلك المكان.. تمنى أن يعودَ في الحال، لكنه

زفر زفرةً بطول عمود، فأمه ماتت منذ زمن، وتركته وحيداً يواجه قهرَ الدنيا.. قهراً بلا حدود!

***

الكتابة الأولى 1992/4/23

تعديل 2021/2/28

حب على الماشي

(سوريا أيام زمان)

يعرف شارع الجلاء بمدينتنا خطواتِ الحلوة الفاتنة صباح!

إنها طالبةٌ في ثانوية الخنساء بإدلب، وعند انصرافها تمشي بدلال يجعل بلاطَ الرصيف يتأوَّه!

يقول الرصيف: فوقي غزال.

فتردُّ صباح المعجبةُ بنفسها: اخرس.. غابةُ غزلان لا تساوي ظفري!

الشبان على الزوايا ينتظرون مرورَ فاتنتهم، وحين تنعطف يساراً نحو الزقاق الموصل إلى الكنيسة، ثمَّ إلى الحي الغربي حيث يقع بيتها تتبعها عشراتُ القلوب كأسراب الزرازير في موسم الحصاد!

في أحد الأيام حدثَ أمرٌ غريب.. لم تنعطف صباح نحو اليسار باتجاه بيتهم، لكنها تابعت طريقها نحو السوق، مع خط سيرها الجديد تكاثر عدد الشبان خلفها، فظنَّ أحد المخبرين الذين أخذوا ينشطون في تلك الفترة من سبعينيات القرن الماضي أن هناك مظاهرة، وكاد يتصل بالجهات المسؤولة!

الباعة المنتشرون في الشارع فرحوا، لأن الشبان السائرين وراءَ فاتنتهم أخذوا يشترون على الماشي علبَ السجائر، والعلكة والكازوز.

شيخ وقور رأى مسيرةَ الغرام تلك، فمسح على لحيته البيضاء، وتمتم: لا حول ولا قوة إلا بالله. فسدت الدنيا!

دخلت صباح إلى أحد دكاكين الألبسة، وأطالت البقاءَ هناك! لم تترك ثوباً أو منديلاً أو قميصاً إلا وتفرجت عليه، ثم جرَّبته على جسمها في غرفة القياس، كانت بين حين وآخر تسترقُ النظرَ من خلف زجاج الدكان إلى الخارج، ظنَّ البائع أنها تنتظر قدومَ أمها لتساعدها في اختيار أحد الملابس، لكنها في الحقيقة كانت تقوم بأمر غريب لا يخطر على بال.. عيناها البراقتان كانتا تراقبان الشبانَ المتلهفين بنشوة، وتقوم بأخذ الغياب لمن لم يحضر منهم! هالَها في ذلك اليوم أن حمدي وصفوان وعبد الرحيم غير موجودين! ثم تذكرت أنهم من الطبقة الفلاحية، ولا بد أنهم في هذه الأيام من شهر تشرين يساعدون أهلهم في جني ثمار الزيتون، وهكذا.. تنهدت، وغفرت لهم، لكنها شعرت بالغيرة ممن؟ من الزيتون، لأنه خطف منها بعضَ عشاقها!

حين خرجت صباح من الدكان فوجئت بعدد من الشبان يفتحون راحاتِ أيديهم في وجهها، وفوق راحاتهم كتبوا عباراتٍ من مثل:

* أحبكِ حتى النَّفَس الأخير- صلاح.

* مجنونكِ إلى الأبد- عماد

* سأنتحر إذا لم تلتفتي إليّ- عبدو.

بعد ذلك تجرَّأ أحد الشبان، فلاصقها، ثمَّ دفع مجموعةَ الكتب التي تحملها، ولمَّا سقطت كتبها على الأرض تظاهر بمساعدتها في لملمتها، ثم دسَّ بين الكتب رسالة!

امتلأ الطريق بالتنهدات، وتفتحت ورودٌ في الصدور، وذبلت أخرى، ولمَّا دخلت الحلوة إلى بيتها حلَّ وجومٌ على الجميع! كأنَّ الليل نزل فجأة! كأنَّ الهواء انقطع من الدنيا! كأنَّ بؤس العالم جمع نفسَهُ من كل أصقاع الأرض، وحلَّ في قلوب هؤلاء العشاق المساكين!

قالت الأخت الكبرى لصباح، وهي فتاة متوسطة الجمال:

- وماذا بعد؟ إنهم يتبعونكِ كل يوم. أخبريني- بالله عليكِ- من الذي تحبينه منهم؟

قبل أن تجيب صباح خرجت إلى الشرفة لتجمع عشراتِ الرسائل التي كوَّرها أصحابها، وقذفوها إلى هناك. عادت وهي تقول بجرأة:

- أحبهم جميعاً.

- معقول؟ تحبين مدينةً بكاملها من الشبان!

- نعم. يا أختي. هؤلاء معجبون بجمالي فقط، وليسوا أهلاً للزواج، وأنا معجبةٌ بإعجابهم.

ثمَّ أضافت:

- بصراحة.. أنا لا أريد أن أتزوج درويشاً من مدينتنا الصغيرة. أمنيتي كلُّها أن يتقدَّم لي ابن تاجر من حلب.

قالت الأخت: سقف طموحاتكِ مرتفع. الله.. الله!

- ليكن. أنا أستحق، ابن التاجر سيشتري لي سيارة، وسيأخذني إلى باريس، وسيكتشف هناك أنني أجمل من الفرنسيات بكثير.

أطلقت الأخت ضحكةً، ثمَّ تساءلت:

- لماذا إذن لا تصدّين هؤلاء ما دمتِ لا ترغبين فيهم؟!

قالت صباح: سامحكِ الله. إنهم دعايةٌ لي، فمن خلالهم ستصل أنباءُ جمالي لحلب، وربما لدمشق.

***

في الستينَ من العمر أو بعدها ببضع سنوات اضطرت صباح لمغادرة مدينتها.. اقتلعتْ جذورَها من هناك بوجع.. لقد انطلقت ثورةٌ شعبية ضد السلطة عام ٢٠١١، لكنها لم تلبث أن انقلبت إلى حرب داخلية! كلا طرفي النزاع يستهدف المدنيين الأبرياء، ويدفع أقدامَهم للرحيل! وها هي تجلس وحيدةً في إحدى مدن السويد تسترجع ما جرى لها مع عشاقها..

مع مرور الزمن أخذ عددهم يتناقص! تعرف ذلك بطريقة خاصة، ففضلاً عن معاينتهم بالعينين كانت بعد

وصولها إلى البيت تفتح منديلاً، وتنفض غدائرَها فوقه! تسألها أختها الكبرى: ماذا تفعلين يا مجنونة؟

تبتسم قائلة: هذه طريقة أخرى لأعرفَ الغائبَ من العشاق. دعيني أشرح لكِ: قلوبُ من يتبعونني تتطاير في الهواء من خلفي، وتلتصقُ بغدائري، وأنا أنفضها الآن، فأعرف الحاضرَ من الغائب.

تقول أختها: وهي في غاية العجب:

لكنكِ نفضتِ الغدائر، ولم أرَ أيَّ قلب!

- لأنكِ لستِ المعشوقة. المعشوقةُ وحدَها تستطيع أن ترى قلوبَ عشاقها فوق غدائرها.

تتذكر أنها بعد المدرسة الثانوية انتسبت للصف الخاص، وتخرَّجت معلمةً، فطرقَ بابَها الخُطَّاب من عشاقها القدامى وغيرهم، لكنها رفضت.. رفضت بعناد، ظلت تفكر بابن التاجر يأتيها على فرس من مدينة الشهباء!

بعد الرفض المتكرر هجرَ الخُطَّابُ بابَها، وصارت في نظر الجميع مجرَّدَ لوحة جميلة لا أحدَ يفكّر باقتنائها، ومرَّ قطار الزمن مسرعاً، فدهسَ بعجلاته أزهارَ نضارتها، مات أبواها، وتزوجت أختها الكبرى، ولم يبقَ لها إلا شبح الوحدة يتمدد في فراغات صدرها! اصطحبت معها إلى السويد عدداً من رسائل العشاق المجعلكة، تفتحها بين آنٍ وآخر لتقرأ، فتسيل دموعها، وتتمنى لو استدار قطار الزمن إلى الوراء لكان لها شأنٌ آخر، كما أنَّ الحنين يعصر روحَها في بعض

الأيام، فتفتح منديلها، وتهز بقايا غدائرها الشائبة فوقه لعل شيئاً من قلوب العشاق يتساقط على قماشه، فلا يتساقط أيُّ قلب!

***

2021/2/15

عمَّتي التي تحبُّ الموت

يتعجَّب جلال من عمَّته المسنَّة التي تترنَّم بعبارةٍ غريبة، تقولها ومسبحتها تدور في يدها، بينما تلوح في أقصى عينيها شمسٌ بعيدة:

- اللهم حبِّبنا إلى الموت، وحبِّبِ الموتَ إلينا.

حين سمع منها العبارةَ أول مرة ارتجَّ قلبه، وتقلَّصَ مجرى السمع في أذنيه! سألها غيرَ مصدِّق: ماذا قلتِ؟

ولمَّا أكدَّت عبارتَها ضحك قائلاً:

- عمَّتي.. أرجوكِ تكلَّمي بلغة المفرد، قولي: اللهم حبِّبِ الموتَ لي، وحبِّبني إليه. أمَّا أنا فلا أستطيع أن أحبَّ هذا الشيء الذي يحرمني من الحياة.

لم تكن عمَّةُ جلال امرأةً يائسةً من الحياة أو قليلةَ الفاعلية، فقد ربَّت ثمانية أولاد تخرَّجوا جميعاً بشهادات عليا، وكان بينها وبين جيرانها، وأقاربها، ومعارفها جسورٌ من التواصل الدائم نمت على أطرافها أزهار المحبة، لكنها- مع نشاطها الدنيوي- كانت على صلة طيّبة بالسماء، فحين تقوم لعبادتها تغيب عما حولها، وتدخل برزخَها الخاص!

في التاسعة والتسعين من العمر ماتت تلك العمَّة، وبينما كان جلال يقف على قبرها تذكَّرَ عبارتَها المفضَّلة فابتسم، وهمس في سره:

- ربما كانت عمَّتي تضحك من الموت، توهمه أنه صديقها، فيخجل من قبض روحها، فها هي قد قاربت المئة!

لم يقتنع بهذا التفسير، ووجد عبارةَ العمَّة تتحوَّل إلى سر غامض يغويه بالبحث عن تفسير آخر!

في المساء فتح كتاباً صوفياً، قرأ أكثرَ من عشرين صفحة، العجيب أنه وجد تلك الشمسَ البعيدة التي كانت تلوح في أقصى عينَيْ عمَّته حين تقول عبارتَها ترافقه فوق كل صفحة من صفحات الكتاب! وفي الصفحة الثالثة والعشرين قرأ سطراً عن الموت، فانفتح أمامه باب، دخل فيه! وجد رجلاً يجلس على بساط من نور، بدا كأنَّ الرجلَ ينتظر قدومه! وما إنْ لمحَهُ حتى قال: تعال يا بني، اجلس أمامي.

جلس أمام الرجل مأخوذاً بهيبته، فإذا به يقول له:

- أنتَ مشغولٌ بعبارة عمَّتك. هذه العبارة لا يقولها إلا الخاصة الذين امتلأت خوابيهم بشهد المحبة. لا أقصد المحبة الدنيوية.

نظر الرجل في وجه جلال، فرأى جلالٌ في عينيه تلك الشمسَ التي كانت تظهر في عينَيْ العمَّة حينما تنطق بعبارتها!

بعد ذلك طار بساطُ النور بالجالسينِ فوقه، مرَّ البساط فوق ماءٍ يتحدَّر من أعلى الجبل، فقال الرجل المهيب:

- ماذا ترى؟

ردَّ جلال: ماءٌ ينزل من الأعلى إلى الأسفل.

- لا يا ولدي.. هذه حياتنا ننفصل كهذه القطرات عن أصلنا الينبوع، فنهوي بين الصخور إلى الوادي، ومَنْ أدركَ ذلك تاقَ سريعاً أن تنتهي رحلةُ سقوطه بسرعة ليتبخَّرَ من جديد، فيصيرَ غيماً، ثمَّ مطراً ليعود إلى حضن ينبوعه الأول، وكذلك عمَّتك. هل فهمتَ؟ ها.. هل فهمت؟

تنبَّه جلال، فإذا به غافٍ فوقَ كتابه الصوفي، وقد صحا من غفوته!

***

2021/3/9

عدوُّ الأغاني

في عصر يقف على مفترق الأزمنة انطلقَ من أحد الأحياء صوتٌ جماعي:

يا مال الشام ياللا يا مالي!

وصل الصوتُ إلى أذن رجل متنفِّذ يسكن بيتاً يشبه الجنَّة. الأذنُ اهتزت، انزعجت، قالت لصاحبها:

- ألم تسمع؟ إنهم يغنُّون! يتعاطَوْن الفن.. فن.. فن!

تساءل الرجل المتنفِّذ:

- ماذا تقصدين يا أذني؟ أوضحي.

- الفنُّ جسرٌ من حرير يربط بين القلوب والأرواح، ويجعل أصحابَها أقوى منك. هذا أولاً. ثانياً.. هم يغنُّون للأرض مع أنك- أيها السيد العظيم- أنتَ المُنعِمُ الأكبر عليهم وعليها! أي أنهم نسوك. أليس هذا لؤماً وجحوداً؟!

زمجرَ الرجل المتنفذ:

- حقاً. إنني وحدي صانعُ كل شيء، وما يفعلونه هو ذروةُ اللؤم والجحود. أنا سأربّيهم.

- ماذا ستفعل؟

- سأتركهم يُغنُّون، لكنني سأغيِّر مضمونَ أغانيهم.

- كيف؟!

- انتظري يا أذني، وستجدين ما يسرُّكِ.

في الأسواق أخذت تتناقص بالتدريج لوازمُ العيش حتى وصل الأمر إلى ندرة الخبز!

تناقصت ضوابط الأمن، فصارت أيدٍ خفيةٌ تخطف الأطفالَ من الزواريب والحارات!

تناقص النومُ من العيون، فتقرَّحت من السهر، وهي تتوقع مصائبَ أكبرَ وأفدح!

ذاتَ مساء كان المتنفِّذ في جنَّته، فجاءت إلى أذنه أصواتٌ شاحبة، كأنها أصواتُ موتى:

يا مال الشام يا شحَّاري

يا مال الشام عايف حالي

يا مال الشام دمعي جاري

كاد المتنفِّذ يطير من الفرح، قال لأذنه:

- ألم أقل لكِ: سأغيِّر مضمونَ أغانيهم!

***

2021/10/26

أضلاع مكسورة

يشتمُ وهيب الفيس بوك، فهو بين حين وآخر يطالعه باسم راحلٍ جديد من أصدقائه!

إنه في الخامسة والسبعين، وله أربعةٌ منهم يقاربونه في العمر، حبُّه لهم كبيرٌ.. كبير، حتى إنه يسمّيهم أضلاعَهُ! مع مرض كورونا اتصل بهم من جوَّاله، وأسمعَهم قائمةَ وصاياه، وأولها أخذُ اللقاح، لكنهم ضحكوا منه، وقالوا:

- الدنيا بخير يا عبد الوهاب. أبعدِ المخاوفَ عن قلبك.

هم يلقبونه بـ(عبد الوهاب)، لأنه يشبه الموسيقار الراحل في شدة خوفه على صحته![1]

أخذ الأصدقاءُ يتساقطون واحداً تلو آخر، ومع سقوط كل منهم كان يهاجمُ صدرَهُ ألمٌ شديد، فيضع يدَهُ فوقه شاعراً بأنَّ أحدَ أضلاعه قد انكسر. بقيَ من باقة الأصدقاء الجميلة شخصٌ واحد هو: يحيى.

اليومَ فتحَ الفيس، فارتجف قلبه وهو يقرأ مطلعَ نعي: ببالغ الأسى والحزن...

---

[1] مُلحِّن ومطرب مصري معروف كان شديدَ الخوف من المرض، فائقَ العناية بالوصايا الصحية، توفي ١٩٩١.

أسرعَ، فأغلقَ الجهاز. قائلاً لنفسه: مستحيل، ليس هو، لا يمكن أن يذهب، ويتركني وحدي. قلبي لم يعد حوله إلا ضلعٌ واحد.

حين نهض عن سَجَّادة الصلاة بعد الظهر امتلأ قلبه بأنفاس الملائكة، انفتحت فوقه نافذةٌ للراحة، لكنَّ ابنته- عند الساعة الرابعة- دخلت عائدةً من عملها، قالت بصوتٍ منكسر:

- بابا.. ألا تعلمُ ما جرى لصديقك يحيى؟ إنه...

أمسكَ صدرَهُ، وهوى في عالَمٍ من شحوب!

***

2021/10/2

المَلَكان

قُتِلَ فاروق في المُعتَقل. دولةٌ عربية خريطتُها مرسومةٌ بالجثث فعلتْ به ذلك. جاءَ المَلَكان سريعاً لسؤاله في القبر، فأخذتُهما موجةُ ذهول! لاحظ الأول أنَّ سبابتَهُ مبتورة. قال لنفسه: كيف تشهَّدَ عندما حضرَهُ الموت؟! ولاحظ الثاني أنَّ لسانه مقطوع، قال: يا لطيف. كيف سيجيبنا إذا سألناه؟! أطرقا، وطال صمتُهما، وحين رفعا رأسيهما كانت دموعهما تغسل الجثة التي دفنها السجَّانُ دون غسل ودون كفن!

***

2021/10/16

أمامَ المنزل

زَفَرَ شيخٌ يقف على حدود السبعين، قال لولده، وهما يجلسان أمام المنزل:

- آه.. يا بُنيّ كُتبت علينا هذه الأعمارُ البائسةُ المُهلهَلة، وبعدها ستأتي المحاةُ لتمرَّ على أسمائنا. آه.. ليت الوالداتِ لم يَلدن.

في تلك اللحظة مرَّت صبيَّةٌ عابرة، فاشتعلت عينا الشيخ، وإذ ببريقهما يقول:

- انسَ ما قلتُه يا بُنيّ. أنا كاذب. ليت لي أعماراً متعددة أو أجنحةً لأطيرَ خلف الجمال.

اختفى الشيخُ من أمام ولده فجأة، وقيل: زادَ عددُ فراشاتِ المدينة فراشةً جديدة!

***

2021/9/19

مشفى الأحلام

تتعجَّب غادة من زوجها حين تراه في الطريق ينحني فجأةً نحو الأرض، يُخرِج من جيبه منديلاً نقياً، ويلتقط شيئاً لا يُرَى، ثم يضع المنديل في الجيب بمنتهى الرفق!

سألَتْه أكثرَ من مرة:

- ما الذي حملتَه من الأرض يا أديب؟!

كان يأتيها منه جوابٌ واحد، هو إشارةٌ صغيرة من وجهه، معناها: أمرٌ خاص، لا تشغلي نفسَكِ به.

وأديب ذو شخصية شاعرية تشبه المتصوفة قليلاً، فهو كثيرُ التأمل شحيح الكلام، عيناه تومضان ببريق عميق، وفي داخلهما دنيا شاسعة تُذكِّرك بقول الشاعر القديم: أتحسب أنكَ جِرمٌ صغيرٌ؟/ وفيكَ انطوى العالَمُ الأكبرُ!

تصمت غادة، وتعرف أن زوجها لا بد أن يحدِّثها عن الأمر حين يطيب له ذلك، ومرةً رأته في شرفة البيت يستخرج من جيبه أحدَ مناديله، وينفض بين الورد شيئاً هناك! كانت تراقبه من خلف الزجاج، ولمَّا لمحها قال: تعالي.

خرجت إليه، فأكمل:

- أنا يا غادة ألتقط من الأرض أحلامَ الناس التي تسقط على الأرصفة. قد تقولين عني مجنون أو واهم، لكنني حقيقةً

أرى تلك الأحلامَ المسكينة، ولا يستطيع رؤيتَها إلا ذو عينين مرهفتين، وقلبٍ مُتعَب بحبه للناس والحياة.

ذُهلت غادة، فجلسا يُتِمَّانِ الحديثَ مع القهوة.

- آه.. يا حبيبتي أحياناً أعثر على حلم مكسورِ الجناح كعصفور مهشَّم! أحياناً أجد حلماً ينزف دماً ورديا، وآخرَ يتنفس بصعوبة! المهم أحمل تلك الأحلام العليلة، وأضعها بين ورود الشرفة، لعلها تتعافى بالشمس والعطر، وتحكي لي بعد ذلك عن نفسها وأصحابها.

اشتعل اهتمامُ الزوجة بالموضوع، فصارت تسمي شرفةَ بيتهم: مشفى الأحلام! بل إنَّ عينها دمعت، وروت لزوجها كيف كان عندها حلمٌ كبير، وهي صغيرة، لكنَّ ذلك الحلم تدحرج من قلبها أو أسقطه أبوها بموضوعيته الجافة! خلاصة حلمها أنها كانت تشتهي أن تصبح رائدةَ فضاء كالروسية فالنتينا فيرشكوفا، وكانت تتصور نفسها تقود مركبتها بين النجوم، وكلما مرت بنجم توقفت فيه، وزرعت هناك غرسةً من الغراس التي تحملها في مركبتها، لكنَّ أباها قال: هذا حلم مستحيل يا ابنتي لفتاة تعيش في العالم الثالث، لو كنتِ في أمريكا أو روسيا لشجعتُكِ على ذلك.

وأضافت غادة: لو عثرتُ على حلمي في أحد الدروب لجعلته يروي لكَ يا أديب كيف فكرتُ أن أسافر إلى دولة متقدمة لأدرس هناك، وأحققه، لكنَّ الأصوات ارتفعت من

حولي، وحاصرتني، فاكتفيتُ بدراسة متواضعة، وأصبحتُ مجرد موظفة في دائرة حكومية كما تعلم!

فَرِحَ أديب بتفاعل زوجته مع أفكاره، رغمَ أسفه على حلمها المجهض، وجرت لها في الأيام التالية تطوراتٌ عديدة زادت من درجة الغبطة لديه.. من ذلك أنها صارت تسأله عن مدى تحسن صحة الأحلام في شرفتهم، ثم أخذت تزيد عنايتها بورود الشرفة لتكون أكثرَ ملاءمةً لشفاء الأحلام، ثم- وهذا هو الأهم- قَوِيَ بصرها أو استبصارها، فأصبحت مثلَ زوجها ترى الأحلامَ المتساقطة فوق الأرصفة، فتفتح منديلاً نظيفاً وتحملها، وكأنها صارت ممرضةَ أحلام!

بلغ عدد الأحلام التي عثر عليها الزوجان أربعةً وثلاثين حلماً، مات منها ثلاثة لم تتحسن أوضاعها الصحية، وبقي واحد وثلاثون حلماً، كانا شديدي القلق عليها، متشوقينِ بلهفة عارمة ليشفى أحدها، فيحدثهما عن نفسه، غيرَ أن واحداً آخر نفقَ كصوص، ثم تلاه اثنان، ثم خمسةٌ دفعةً واحدة! وهكذا.. لم يتبقَ في مشفى الشرفة غير ثلاثة وعشرين من الأحلام الذابلة! إثر ذلك تتابع الموت كجائحة كورونا، فتساقط معظم الأحلام الباقية، وظل بين الورد ثلاثة أحلام فقط! وكم كانت سعادة الزوجين كبيرة حين شفي أحدها ذاتَ ضحى، وبدأ يتحدث عن نفسه:

- أنا حلم رياضي، صاحبي كان لاعبَ كرة قدم، حركاتُ ساقيه لا مثيلَ لها في المهارة، تفوَّقَ على جميع أقرانه، وحقق

لنادي محافظته الصغيرة إنجازاتٍ كبيرة! هناك لاعب متواضع الأداء أخرجوه من الفريق، فحقد على صاحبي، وصاحبي كان يحلم بالصعود إلى فريق أكبر، ثم أكبر ليكون نجماً عالمياً، وهو قادر على ذلك، لكن اللاعب الحاقد تدبر له حادثة مفتعلة، فصدمته دراجة نارية صدمة عنيفة أدت إلى كسر حوضه، فاضطر إلى هجر الملعب مؤقتاً، ثم نهائياً، وبينما كان يسير متوكئاً على عكاز فوق أحد الأرصفة سقطتُ منه، وخلفي سقطت حبَّاتُ دموعه!

في يوم آخر شفي الحلم الثاني، فأخذ يتكلم:

- أنا حلم غرامي، صاحبتي بنتٌ طيبة عشقتْ شاباً من طائفة مغايرة، ورغم تهديد أهلها لها ظلت تحبه، وظلت عيناه نجمين سماويين يغزلان لها الحكايا، ويأخذانها حيث شاءا، وذاتَ يوم ذهبت لموعد بينهما، فوجدته مذبوحاً، وعيناه مقلوعتان بسكين، لأنه أغواها بهما! أيمكن وأنا حلمها الجميل بالزواج من فتاها أن أبقى في قلبها؟ لقد تهاويتُ كثمرة جافة سقطت من شجرة!

الحلم الثالث الباقي لم يشف، لكنهما وجداه قادراً على الكلام بصعوبة، أخذ يحكي وهو ينزف دماً أخضر:

- أنا حلم رجل وطني، يحب خضرة بلاده، ويحب أن تكون السياسة خضراء، والتعليم أخضر، وكل المرافق خضراء، لهذا اصطدم بالسلطة الديكتاتورية، ومع ظهور المتشددين اصطدم بهم أيضاً، لأن شعاره: الدين لله،

والوطن للجميع، غضب عليه المتشددون، فخطفوه أولاً، وأعادوه محطماً إلى بيته، وما كاد يتماثل للشفاء حتى اعتقلته السلطة الحاكمة، فاختفى تماماً كذرة من الملح، وبقيتُ أنا حلمه يتيماً أشتاق إليه، وإلى دفء صدره. كان من المحال أن أرافقه إلى المعتقل، فالأحلام ممنوعة في السجون. آه.. إنها ممنوعة.

بعد الجملة الأخيرة لفظ الحلمُ بقيةَ أنفاسه، فبكى الزوجان كيوم ماطر، وناجيا السماءَ قائلين:

- رفقاً بما تبقى من أحلام في هذا العالم يا رب.. رفقاً بتلك الأزهار الطَّرية التي تنبتُ على جنبات القلوب.

مسحا دموعَهما، فأدهشهما أمرٌ غريب.. لقد وجدا حولهما سِرباً من الفراشات الملوَّنة يرفُّ بأجنحته، وسمعا صوتاً خافتاً يقول:

- نحن أرواح الأحلام الميتة، مع فصل الربيع سندخل في قلوبٍ جديدة.

***

2021/4/18

المؤلف نجيب كيَّالي

* مواليد: سوريا- إدلب 1953 ، يحمل شهادة جامعية في الأدب العربي من جامعة حلب 1980

* الاسم الكامل: محمد نجيب كيَّالي بن حسن، لكنه ينشر أعماله باسمه المُختَصر: (نجيب كيَّالي).

* عضو اتحاد الكتَّاب العرب في سوريا منذ العام 1996

* قاص يعشق أدب الأطفال، والقصة القصيرة جداً، ومع هذين الفنين يكتب القصة والشِّعر للكبار والصغار، كما أنَّ له مساهماتٍ في المقالة، والمتابعات النقدية.

* نشرَ أعمالَهُ في عدد من الصحف والمجلات العربية، بعضها للصغار، وبعضها للكبار، منها: أسامة، الطليعي، سامر اللبنانية، العربي الصغير، وسام الأردنية، المعرفة السورية، تشرين، دبي الثقافية، الإمارات الثقافية.

* له عدد من الكتب للجيلين اللذينِ يكتب لهما

للكبار:

1- ميِّت لا يموت- قصص قصيرة جداً عن وزارة الثقافة في سورية 1996

2- لساني أَكَلهُ القط- قصص قصيرة ساخرة عن دار الشموس بدمشق 2001

3- قُبلة بالشماسي- قصص قصيرة جداً عن اتحاد الكتَّاب العرب 2010

4- خيوط ملوَّنة- كتاب منوَّعات عن دار نون4 بحلب 2011

5- بين زرقتين- قصص قصيرة جداً- دار ميسلون 2018

6- الحكايات المخبَّأة في الأصابع- قصص قصيرة- دار فضاءات- الأردن 2019

7- لا أعصي لكَ حزناً- قصص قصيرة- دار شرفات- تركيا 2020

8- بينَهُ وبين ثوبها الأزرق- قصص قصيرة- دار موزاييك- اسطنبول 2021

9- للنهوض بقصة الطفل العربي- دراسة نقدية- منشور ألكترونياً في موقع دائرة الثقافة بالشارقة 2021

10- ديرُ القصائد- قصص قصيرة- دار موزاييك- اسطنبول 2021

للصغار:

1- الطبل المثقوب- قصص للأطفال- دمشق دار الينابيع- بالتعاون مع اتحاد الكتَّاب العرب 1991

2- أميرة السكَّر- قصص للأطفال- اتحاد الكتَّاب العرب 2003

3- طفل ونافورة- قصائد للأطفال- جائزة ميرا بنت هزاع- الإمارات 2006

4- العيد والأرجوحة– قصص للأطفال- جائزة الطيِّب صالح- السودان 2016

5- طفل يلهو- قصائد للأطفال- ضمن مجموعة مشتركة، عنوانها: مرايا الشِّعر واللون- جائزة عبد الحميد شومان- الأردن 2016

وله أكثر من عشرين كتاباً آخرَ جاهزاً للطباعة.

* حاصل على عدد من الجوائز العربية في مجال أدب الأطفال:

1- جائزة الشيخة ميرا بنت هزاع- الإمارات- 2006- كتاب: (طفل ونافورة)- قصائد- المركز الثاني.

2- جائزة الطيِّب صالح- السودان- 2016- كتاب: (العيد والأرجوحة)- قصص- المركز الثاني.

3- جائزة عبد الحميد شومان- الأردن- 2016- كتاب: (طفل يلهو)- قصائد- المركز الأول.

4- جائزة ناجي نعمان- لبنان- 2019- كتاب: (شجرة رسمتها العصافير)- قصص

5- جائزة مصطفى عزُّوز- تونس- 2021- كتاب: (قمرٌ فوق دفتري)- قصائد.

* الإيميل: najib.mn1@gmail.com

قائمة الكُتب الشاملة لنجيب كيَّالي

(المطبوعة وغير المطبوعة)

المطبوعة:

1- الطبل المثقوب- قصص للأطفال- دار الينابيع- دمشق- بالتعاون مع اتحاد الكتَّاب العرب في سوريا 1992

2- أميرة السُّكَّر- قصص للأطفال- اتحاد الكتَّاب العرب 2003

3- العيد والأرجوحة- قصص للأطفال- جائزة الطيِّب صالح- السودان 2016

4- ميِّت لا يموت- قصص قصيرة جداً- وزارة الثقافة في سوريا 1996

5- لساني أكَلَهُ القط- قصص قصيرة- دار الشموس- دمشق 2001

6- قُبلة بالشماسي- قصص قصيرة جداً- اتحاد الكتَّاب العرب 2010

7- خيوط ملوَّنة- الجزء الأول- كتاب منوَّعات- دار نون4- حلب 2011

8- بين زرقتين- قصص قصيرة جداً- دار ميسلون 2018

9- الحكايات المخبَّأة في الأصابع- قصص قصيرة- دار فضاءات الأردن 2019

10- لا أعصي لكَ حزناً- قصص قصيرة- دار شرفات- تركيا 2020

11- بينَهُ وبينَ ثوبها الأزرق- قصص قصيرة- دار موزاييك- اسطنبول 2021

12- للنهوض بقصة الطفل العربي- دراسة نقدية- منشور ألكترونياً في موقع دائرة الثقافة بالشارقة 2021

13- ديرُ القصائد- قصص قصيرة- دار موزاييك- اسطنبول 2021

غير المطبوعة:

1- قمر مربَّع- قصص قصيرة جداً

2- في جيب موجة- شِعر وجداني.

3- خيوط ملوَّنة- الجزء الثاني- كتاب منوَّعات

4- لوحة رسمَتها العصافير- قصص للأطفال

5- ضحكة الأميرة- قصص للأطفال

6- حكايات ماسة- قصص للأطفال

7- طفل ونافورة- مجموعة شعريَّة للأطفال

8- سوريا حزينة العينين- نصوص متنوعة عن الأزمة السورية

9- طفل يلهو- مجموعة شعريَّة للأطفال

10- رقبة امرأة شقراء- نماذج من صور الحب في أدب نجيب كيَّالي

11- حديقة الكلمات- أفكار وخواطر موجزة

12- قمرٌ فوقَ دفتري- مجموعة شعريَّة للأطفال

13- رجل طويل جداً- قصص للأطفال

14- الكتابُ الطائر- مجموعة قصصية للأطفال

15- زهرة بيضاء في العينين- كتاب في الحب الزوجي

16- وطن منتوف الريش- كتاب سياسي منوَّع يتناول مشكلات عربية

17- عتاب للمكنسة- قصائد ساخرة

18- جراحُنا التي لم تجفّ- خواطر متنوعة

19- نغمة من وتر الأسرار- قصص قصيرة

20- رسائل طفل- كتاب رسائل مخصص للأطفال.

المحتوى

1	قارئُ الدموع	5
2	طقس غرامي	9
3	صمتٌ جارح	13
4	أحلامٌ على حَواف الصَّدى	15
5	نغمةٌ من وتر الأسرار	19
6	تواليت العميد	23
7	أحلامٌ، وزجاجةٌ مكسورة	29
8	من عالَم الشَّجر	33
9	موندیال	35
10	شَعر طويل، وطاقية بيضاء	43
11	أُمَّان	45
12	المشي على طرف الغيمة	47
13	عينان مُكحَّلتان	51
14	أبواب مغلقة	53
15	التغريد	57
16	جسم ناقص	59
17	ذيل مدلّل	63
18	قصائد مسروقة	65
19	المملكةُ العظمى	67
20	رجلٌ بلا أحلام	71

21	الأدعية الطائرة	75
22	أصوات	77
23	بيتُ الأغاني	79
24	عندما صرتُ ثعلباً ذاتَ يوم	83
25	كائنٌ أحبُّه	87
26	المسافرون	89
27	المشنقة	91
28	ينبوعُ الأنوار	95
29	جرحٌ في الوجه	97
30	ثلاثةُ جدران	99
31	حب على الماشي	105
32	عمتي التي تحبُّ الموت	111
33	عدوُّ الأغاني	115
34	أضلاع مكسورة	117
35	المَلَكان	119
36	أمام المنزل	121
37	مشفى الأحلام	123
-	المؤلّف نجيب كيالي	129
-	قائمة الكتب الشاملة للمؤلّف	132
-	المحتوى	135